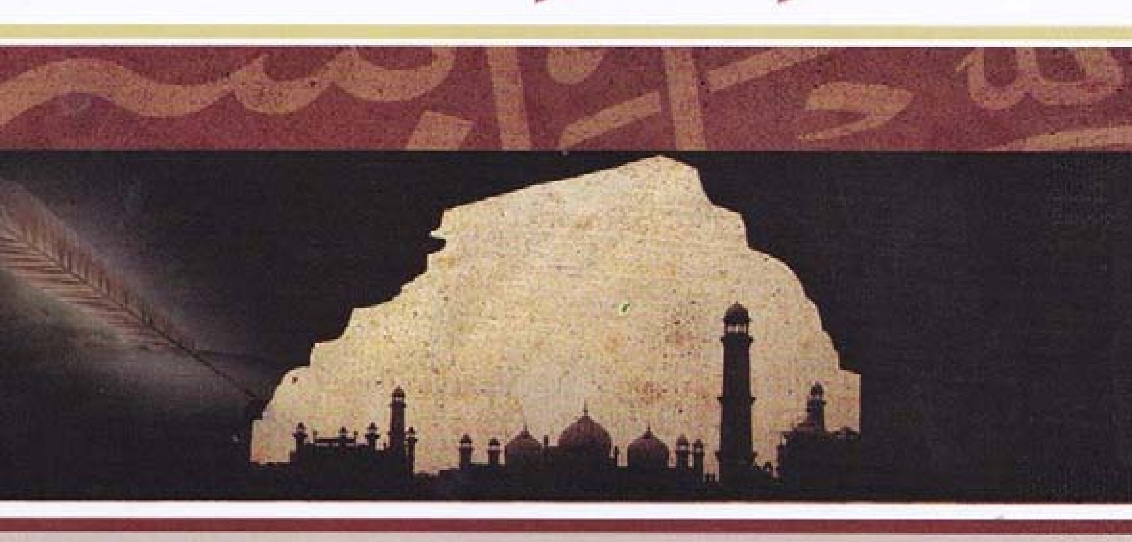


يطبع أول مرة محققاً على نسخة فريدة

زادِ سَفَرِ الملوك



تأليف الأستاذ

أبي منصور عبد الملك (بن محمد) بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري رحمة الله عليه

في السفر ومدحه وصفته ومحاسن الأخلاق فيه

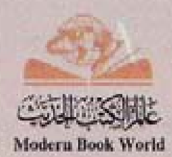
تحقيق

هلال علي بن ناجي

رئيس اتحاد المؤلفين والكُتّاب العراقيين (سابقاً)

عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق

الحائز على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تحقيق المعجمات



عالم الكتب الحديث

Modern Book World

يطبع أول مرة محققاً على نسخة فريدة

زادِ سَفَرِ الملوك

تأليف الأستاذ
أبي منصور عبد الملك [بن محمد] بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري رحمة الله عليه

في السفر ومدحه وصفته ومحاسن الأخلاق فيه

تحقيق

هلال علي بن ناجي

رئيس اتحاد المؤلفين والكُتّاب العراقيين (سابقاً)

عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق

الحائز على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تحقيق المعجمات

عالم الكتب الحديث
Modern Book World
اربد – الأردن
2011



الطبعة الأولى

2011 - 1432

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2009/9/3895)

811.09

هلال بن ناجي

زاد سفر الملوك / أبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تحقيق: هلال بن ناجي.- إربد: عالم الكتب الحديث، 2009.

( ) ص

ر. إ.: (2009/9/3895)

الواصفات: الأدب العربي // المنوعات الأدبية //

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.

* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتـوى مـصنفه ولا يعبّـر هـذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ردمك: **ISBN 978-9957-70-299-1**



للنـشـر والتـوزيـع

إربد- شارع الجامعة- بجانب البنك الإسلامي

تلفون: (00962 -27272272) خلوي: 079 /5264363 فاكس: 27269909 -00962

صندوق البريد (3469) الرمزي البريدي (21110)

البريد الإلكتروني almalktob@yahoo.com

almalktob@hotmail.com

almalktob@gmail.com

الفرع الثاني

جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع

الأردن- العبدلي- عمان- تلفون: 079 /5264363

مكتب بيروت

روضة الغدير- بناية بزي- هاتف: 00961 1 471357 فاكس: 00961 1 475905

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بين يدي الكتاب

المصنف والكتاب:

دارت حياة أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي بين مدن سبع لم يعدها إلى سواها، في الأعم الأرجح[1].

أولاها: نيسابور وبها ولد سنة (350هـ) لأب كان يحترف تجارة جلود الثعالب فنُسب إليها، وهي مهنة مرموقة في المناطق الباردة، مثل نيسابور وما صاقبها.

وقد وهم من ظنّ أن الثعالبي كان يحترف هذه المهنة، والصواب أنها مهنة أبيه[2].

كما وهم من ذهب إلى أنه ولد في أسرة ضعيفة الحال رقيقة[3]، فبين يدينا نص من شعره يؤكد أنه ورث عن أبيه وأمه ضياعاً عديدة لكنه أتلفها في الحوادث، وفي طلب العلم والأدب. قال[4]:

من كان ينفعه الأدب	ويُحلّه أعلى الرُتَبْ
فلقد خسرتُ عليه ما	وُرِّثْتُ من أمٍّ وأبْ

---

(1) انظر: ترجمة الثعالبي في المصادر التالية: دمية القصر وعصرة أهل العصر، 2/ 226. زهر الآداب، ص 127، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الرابع، المجلد الثاني، ص 560-583، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص 349، وفيات الأعيان، 2/ 350، العبر في خبر من غبر، 3/ 172.

(2) نثر النظم، ص 6.

(3) الثعالبي ناقداً وأديباً، ص 22.

(4) اللطائف والظرائف، ص 27.

كـــم ضـــيعة كانـــت تـــصو ن الوجـــهَ عـــن ذُلِّ الطَلَـــبْ
أتلفتهـــــــا لا في القيـــــــا ن، ولا هـــوى بنـــت العِنَـــبْ
بـــل في الحـــوادث والجـــوا ئـــحِ والـــشوائب والنّـــوَبْ
كـــم قلـــتُ لَمّـــا بعتُهـــا وحـــصلتُ في أسْـــرِ الكُـــرَبْ
ضـــاعَتْ دجاجتنـــا الـــتي كانـــت تبـــيض لنـــا الـــذَهَبْ

الثعالبي إذن ولد في أسرة موسـرة، وورث عنهـا المـال والـضياع العامرة، لكنه أضاع كثيراً مما يملك في مطالب الحياة الـتي ذكرهـا ونوبهـا، ومركز أسرته الرفيع هذا يسَّر له الولوج في مجتمع السراة والحاكمين فيمـا بعد.

ولقد حرص أبوه على تأديبه منـذ الـصغر في كتاتيـب نيـسابور، فكان من بين مؤديبه في أيام صباه، رجل أديب حبَّبَ إليه الأدب والشعر، فممّا انشده هذا المؤدب لتلميذه في ذم الكتب والدفاتر وامتـداح الحفـظ، والحضّ على استيعاب العلم في الصدور:

صـــاحب الكتْـــبِ تـــراه أبـــداً غـير ذي فهـم ولكـن ذا غَلَـطْ
كلمـــا فاتـــشته عـــن علمـــه قال علمي يا خليلـي في سَـفَطْ
في كـــراريسَ جيـــادٍ أُحْكِمَـــتْ وبخـــطٍّ أيّ خـــطٍّ أيّ خـــط
فـــإذا قلـــت لـــه هـــاتِ إذنْ حكَّ لِحْيَيَهِ جميعاً وامتخط[1]

---

(1) نزهة الألباء، ص 365.

ولقد حبَّب إليه الأدب والعلم أيضاً شيخان جليلان من شيوخه هما: أبو بكر الخوارزمي الشاعر النائر[1]، وأحمد الخطابي العالم المصنف[2].

احترف الثعالبي في مطلع حياته مهنة تأديب الصبيان، لكن ارتفاع محله عن هذه المهنة، وعمق ثقافته وذكاءه ومطامحه وشغفه بالتصنيف منذ صباه الباكر والذي يعزز قوله:

اسمع فديتك حِلفةً مبرورةً　　　من خِلِّكَ المشغوفِ بالتصنيف[3]

كل ذلك مهد له الطريق إلى مجالس الملوك والأمراء والوزراء وصدور عصره، فخدمهم بكتبه عن طريق إهدائها إليهم، فترسخت مكانته، وتوثقت صلاته بعلية القوم، فكان ذلك سبيلاً لارتقاء حاله، ورسوخ منزلته الاجتماعية بعد أن تبوأ منزلة كبرى في ميدان التصنيف الأدبي جعلت ابن بسام يصفه بأنه: "راعي تلعات العلم وجامع أشتات النثر والنظم، رأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنفين بحكم أقرانه، سار ذكره سير المثل، وضربت إليه آباط الإبل، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب".

وكانت نيسابور في زمنه مدينة عظيمة، ذات فضائل جسيمة، فهي معدن الفضلاء ومنبع العلماء – على ما قال ياقوت [4]–، فدفعه

(1) نزهة الألباء، ص 265.
(2) معجم الأدباء، 4/ 251.
(3) مرآة المروءات، ص 24.
(4) معجم البلدان، 4/ 857.

هذا إلى توثيق صلاته بالعلماء والأدباء الذين كانت تزخر بهم نيسابور وتفخر أمثال أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي الذي كان أميراً وشاعراً ومصنفاً، وأبي الفتح علي بن محمد البستي الشاعر الكبير، وأبي نصر محمد بن عبد الجبار العتبي الأديب المؤرخ، وأبي نصر سهل بن المرزبان وسواهم كثيرون.

كانت نيسابور منذ عهد الأمراء الطاهريين عاصمة لإقليم خراسان، وكانت حدود هذا الإقليم تمتد لتشمل جميع المرتفعات فيما وراء هراة، التي هي اليوم القسم الشمالي الغربي من أفغانستان، كما كانت تشمل البلاد الواقعة في أعالي نهر جيحون من ناحية البامير، إضافة إلى القسم الشرقي من إيران الحالية، وكان يقال لنيسابور: ابرشهر، ومعناه مدينة الغيم بالفارسية[1]. ولم يكن في كل إقليم خراسان، على ما ذكر ابن حوقل، مدينة أصحّ هواء وأفسح فضاء وأشد عمارة من نيسابور، وتجارها أهل ثراء، وتؤمها السابلة والقوافل في كل يوم، وتصدر أصناف ثياب القطن والإبريسم إلى سائر البلدان[2].

قال المقدسي[3]: وفي نيسابور اثنتان وأربعون محلة، منها ما يكون مثل نصف شيراز، ودروبها المؤدية إلى أبواب المدينة زهاء الخمسين، ومسجدها الجامع أربع رحبات، بناه عمرو الصفار، وللجامع أحد عشر باباً بها أعمدة رخام. قال ياقوت: وهي كثيرة الفواكه والخيرات وبها ريباس ليس في الدنيا مثله[4].

---

(1) بلدان الخلافة الشرقية، ص 423-424.

(2) صورة الأرض: ابن حوقل، ص 310-312.

(3) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 314-316، 329.

(4) معجم البلدان، 4/ 857-858.

وفي أطراف نيسابور كانت تقوم قرية بشتقان التي ينحدر منها واد يقال له: سغاور هو نهر نيسابور، وعلى هذا النهر، الذي كان يدير سبعين رحى، كانت لكل دار في المدينة قناة تأخذ ماءها منه، وكانت هذه القنوات تجري تحت الأرض، وعلى هذا الوادي والقنوات قُوام وحَفَظة. وعمق بعض القنى تحت الأرض ربما بلغ مئة درجة، وهذه القنى، إذا ما جاوزت المدينة ظهرت على وجه الأرض فتسقي المزارع والبساتين[1].

بشتقان هذه كانت أجمل متنزهات نيسابور، ويبدو أن الثعالبي كان يرتادها كثيراً أيام عيشه في مدينته، وإلى ذلك أشار في قوله[2]:

ولّما نزلنا بشتقان التي غَدَتْ ... وراحتْ بجناتِ النعيمِ تُشَبّهُ

وقد برزت أشجارها في ملابسٍ ... ربيعية حازت مدى الحسن كُلَّهُ

وعارَضَنا ماءٌ يرقّ مصندلٌ ... وواجهنا وردٌ يشوق موجَّه

وقهقه رعدٌ في السماء مجلجلٌ ... وفي الأرض إبريق المدامِ يقهقِهُ

وغَنّى مُغَنّى العندليب كأنّما ... يجاوبه في حلقِهِ مزهرٌ له

ولقد نهل أبو منصور من لذائذ العيش ما سمح به عمره وزمنه، وخلّف لنا أنموذجات كثيرة من شعر الغزل والخمرة، وليس يخفى أنّه أمضى عهد صباه وشبابه في نيسابور وهي إحدى جنان الدنيا، وربما كانت أبياته التالية خير أنموذج لشعر اللهو الذي كتبه في صباه:

هذه ليلةٌ لها بهجةُ الطا ... ووس حُسْناً ولونُها للغُدافِ

---

(1) بلدان الخلافة الشرقية، ص 425.

(2) من غاب عنه المطرب، ص 238 (المطبوع ضمن كتاب التحفة البهية، الأستانة، 1302هـ).

رَقَدَ الدهرُ فانتبهنا وسارقـ ناه حَظّاً من السرور الشافي
بمُدام صافٍ وخِلٍّ مُصافٍ وحبيبٍ وافٍ وسَعْدٍ مُوافِ[1]

وقوله[2]:

سقيا لدهر سروري والعيشُ بينَ السَّراري
إذ طَيْرُ سعدي جوارٍ مع امتلاك الجواري
أيامُ عيشي كعُودي وقد ملكتُ اختياري
أجري بغير عذار أجني بغير اعتذارِ
وغَيْمُ لهوي مطيرٌ وزَنْدُ أنسيَ وارِ

غير أنّ هذه الفترة لم تطل، فقد جاءه النذير في نجوم شيب لاحت بعارضه، فقال مخاطباً نفسه[3]:

أبا منصورٍ المغرور أقصِرْ وأبْصِرْ طُرْقَ أصحاب الرشادِ
ألسْتَ ترى نجومَ الشيبِ لاحَتْ وشيبُ المرء عنوانُ الفسادِ

وقال من أخرى[4]:

هذا عذارك بالمشيب مُطَرَّزُ فقبول عذرك في التصابي مُعْوِزُ

---

(1) خاص الخاص، ص 236.

(2) من غاب عنه المطرب، ص 268-269.

(3) أحسن ما سمعت، ص 145.

(4) المبهج، ص 38.

ولقد علمتُ وما علمت توهماً   أنّ المشيب بَهدْمِ عمرِك يرمزُ

نبغ الثعالبي في ظل دولة السامانيين – وكانت الحركة الثقافية مزدهرة في أيامهم – وقد دفعته مطامحه إلى التوجه إلى عاصمتهم بخارى قبل عام (382هـ) – وكانت ملتقى الأدباء والمثقفين – لكن الأعاصير كانت تعصف بحكم الأمير نوح بن منصور الساماني، حيث استطاع ملك الترك بغراخان أيلك احتلال بخارى عام (383هـ) [1]، فكان ذلك بداية النهاية لسقوط دولة السامانيين التي انتهت عام (395هـ)، حين سيطر الغرنويون على إقليم خراسان كله وعاصمته نيسابور، وكان سقوط بخارى مدعاة عودة الثعالبي إلى مسقط رأسه، دون أن يحقق شيئاً من مطامحه[2]، إذا استثنينا ما أفاده من صلات بأدباء بخارى وعلمائها[3]. بخارى إذن كانت ثانية المدن التي دارت فيها حياة أبي منصور.

وعند عودة الثعالبي إلى نيسابور أتاح له القدر الالتقاء ببديع الزمان الهمذاني فوطّد صلته به وأفاد منه[4]، كما عمقّ علاقته بكلّ من الميكالي والبستي[5].

ولقد كانت لدى الثعالبي ضيعة – بأطراف نيسابور – يستعين بغلاتها على مواجهة مطالب الحياة، وقد تركت هذه الضيعة ميسمها على إشعار الثعالبي وأدبه في غير ما موضع.

---

(1) الكامل في التاريخ، 9/ 95، 99.

(2) يتيمة الدهر، 4/ 172.

(3) يتيمة الدهر، 4/ 172، 4/ 101، 4/ 84، 4/ 157.

(4) يتيمة الدهر، 4/ 256.

(5) يتيمة الدهر، 4/ 302.

فهو يشكر أحد أصدقائه على سَقْيه كَرْماً له[1]:

يـا بَـدْرَ صـدرٍ بنيـسابورَ مطلعُـهُ ... وبحرَ جودٍ لأهـلِ الفـضل مترَعُـهُ
سـقيت كَرْمـيَ مـاءً فيـه أَرْبَعَـةٌ ... مـن الميـاهِ وخـيرُ المـاءِ أَنْفَعُـهُ
مـاءُ الحيـاةِ ومـاءُ الوجـهِ يَـشْفَعُهُ ... مـاءُ الـشبابِ ومـاءُ الـوَرْدِ يَتْبَعُـهُ

وهو يتطلع إلى غلات الضِّياع تطلع الخبير العارف[2]:

1- إذا ما نقل الـدهقانُ غـلاَّت الرسـاتيقِ ... 2- فكم من نعمةٍ بيضاء في سـود الجواليـق
3- وكم من سمنة صفراء في حمر البساتيق ... 4- وكم من قهوة حمراء في بيض الـدواريق

وهو ينعم الطرف بكروم ضيعته فيقول[3]:

أكـرمْ بكـرمٍ إذا أسْـلَفْتَ مغرسَـه ... الماءَ القراحَ قـضاكَ الـراح في العِنَـبِ
وظلٌّ يثمـر في ظِـلِّ العـريش لنـا ... أمُّ الـسّرور وظـرف اللـهو واللعـب

وهو يرى أنّ جمال معيشة الـزارع يكمـن في الإبـل الـتي تـدمن الحركة في نقل المحاصيل[4]:

جَمـالُ معيـشةِ التـاني ... جِمـالٌ تُـدمِنُ الحركَـهْ
إذا بركـت ببـاب الـدار ... ألقـت رحلـها البركـه

---

(1) خاص الخاص، ص 239.
(2) مخطوطة التوفيق للتلفيق الورقة 37.
(3) مخطوطة روح الروح الورقة 115.
(4) التمثيل والمحاضرة، ص 169، والتاني: الزارع.

غير أن أحوال ضيعته كانت في اختلال، وحين وردته رقعة وكيل له بالضيعة قال[1]:

يا رقعة طُويت على حَيّاتِ وعقاربٍ كَدَّرْنَ ماءَ حياتي

ما أنتَ إلاّ من تباريحِ الجوى وسفاتج الأحزان والحسرات

وكأنّ أحرُفَكِ الكريهة أعْيُنٌ لرواقبٍ، أو ألْسُنٌ لوشاة

وكذا الضياعُ رقاعُ رقمتها إذا وافت أتتْ بحوادثِ الآفات

إنّ اختلال أحوال هذه الضيعة أثقل كاهل صاحبنا فمن ديوان انقضت ظهره إلى جور جيران تلك الضيعة، فدفعه هذا إلى مرّ الشكوى حتى قال[2]:

ثلاثٌ قد مُنيت بها فأضْحَتْ لنارِ القلب مِنّي كالأثافي

ديونٌ أنْقَضَتْ ظهري وجَوْرٌ من الجيرانِ شابَ له غدافي

وفقدانُ الكفافِ، وأيٌّ عيش لمن يُمْنَى بفقدان الكفاف؟

ذاك ما كان من أمر الصنيعة، التي سنعود إلى الحديث عنها في فقرة لاحقة.

وإذا كانت عودة الثعالبي - صفر اليدين - من بخارى عام (383هـ)، حافزاً على الإنصراف إلى تأليف يتيمة الدهر في العام التالي، وهو كتاب سحر العقول، وأعجب الملوك، وفتن قلوب الرعية، وكان منطلقاً لسطوح نجمه، وذيوع صيته، وترامي إشعاعه، ومن هنا طارت شهرته في الآفاق، وانفتحت أمامه أبواب البلاطات.

---

(1) مجموع شعره، المقطعة 38، والمنشور بالمورد.

(2) برد الأكباد في الأعداد، ص 124-125، ومجموع شعره المقطعة 130.

جرجان إقليم يمتد إلى الجنوب الشرقي من بحر قزوين، ويضم في الأغلب السهول العريضة والأودية التي يسقيها نهرا جرجان وانزك، فهو إقليم وافر المياه كثير الأشجار من عنب وزيتون وتين، ونهرا جرجان وأنزك عميقان لا يكادان يعبران، وكلاهما يصبّ في بحر قزوين.

وعاصمة الإقليم قصبة جرجان. وكانت مدينة حسنة أيام الثعالبي تقع على جانبي نهر جرجان وتربط بينهما قنطرة، اسم الجانب الشرقي منها شهرستان، واسم الغربي بكر أباذ، تكثر في بساتينها الفواكه ويعمل بها الإبريسم، وحرها شديد، وحشراتها مؤذية، وفرضة جرجان على بحر قزوين، مدينة أبسكُون[1]، وكان يملك إقليم جرجان في القرن الرابع الهجري، بنو زيار، وهم منها، وقد امتدّ سلطانهم إلى طبرستان والنواحي المجاورة، وكان قابوس بن وشمكير أميراً على جرجان، وقد استطاع البويهيون إزاحته عن إمارته وضمّ إقليم جرجان إلى ملكهم سنة (371هـ)، وعاش قابوس في المنفى ولكنه استطاع أن يدحر جيوش البويهيين في معركة حاسمة عام (388هـ)، فاستعاد جرجان وكان ذلك بداية استيلائه على بلاد الجبل وخراسان[2]، وكان الأمير قابوس أديباً شاعراً ومصنفاً بليغاً، وله رسائل بليغة طبعت في عصرنا هذا في كتاب عنوانه (كمال البلاغة)[3]. وقد تعرف على الثعالبي أيام إقامة الأمير الطويلة في منفاه في نيسابور، فدعاه لزيارة جرجان – عاصمة ملكه – عام (391هـ)، فكانت جرجان ثالث مدينة دارت فيها حياة الثعالبي.

---

(1) بلدان الخلافة الشرقية، ص 417-418.

(2) انظر اليميني للعتبي، 1/ 389-412، 2/ 1-7.

(3) انظر الكامل لابن الأثير، 9/ 98-99، اليميني، ص 105، 289، 2/ 172، النجوم الزاهرة، 4/ 233.

ولقد استمع الأمير قابوس إلى قصيدته التي هنأه فيها بالنصر على البويهيين، وأولها:

الفتح منتظم والدهر مبتسم وملك شمس المعالي كلّه نِعَمُ[1]

كما تلقى كتابه "المبهج" بالبر والتكريم، وعاد أبو منصور إلى نيسابور مثقلاً بالأنعام.

وكان حاكم نيسابور آنذاك الأمير أبو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين، وكان قد عاد من معركة دحر فيها فلول الجيوش السامانية التي كان يقودها إسماعيل بن نوح المنتصر وذلك سنة (392هـ)[2].

تبلّجت الأيامُ عن غُرَّةِ الدهرِ وحلَّتْ بأهل البغي قاصمةُ الظهرِ[3]

فكانت تلك القصيدة بداية صلة عامرة طويلة – بين الشاعر والأمير – امتدت عشرين عاماً، وكان من ثمار هذه الصلة أن صنف الثعالبي للأمير كتاب "أجناس التجنيس" وكتاب "الاقتباس" فنعم في ظل الأمير عدة أعوام وكان ذلك كله قبل عام (396هـ)، وهو العام الذي انتزعت فيه جيوش أيلك خان التركي مدينة نيسابور من الغزنويين، وغادرها الأمير أبو المظفر[4]، وبمغادرته فقد الثعالبي ظلاً ظليلاً كان ينعم به. وبعد رحيل أبي المظفر انصرف الثعالبي لتأليف كتاب "سحر البلاغة

---

(1) اليميني، 2/ 7-8.

(2) اليميني، 1/ 320-332.

(3) اليميني، 1/ 332-335.

(4) الكامل في التاريخ، 9/ 188.

الذي أهداه لصاحب الجيش أبي موسى بن عمران[1]، وفي عام (400هـ) فقد الثعالبي صديقاً أثيراً هو البستي الشاعر، وحلّ القحط بإقليم خراسان كله (401هـ)، وصاحبه وباء عظيم عجز معه الناس عن دفن موتاهم، وتساقط الناس صرعى الجوع والوباء[2]، فحزّ ذلك في نفس الثعالبي ودفعه إلى القول[3]:

لمّا رأيتُ زماناً	يَفْترُّ عن كلّ صَعْبَهْ
والقحط في أكله النا	سَ بالذئاب تَشَبَّهْ
والحَبّ قد عزَّ حتّى	أنسى المحبّ الأحِبّهْ
في حبّةِ القلبِ مني	زرعت حُبَّ ابن حَبّه

وغادر أبو منصور مدينته نيسابور والقلب منه يتفجع على ملاعب صباه، ولاذ بأسفرئين – رابع مدينة دارت فيها حياة الثعالبي–، حيث حلّ ضيفاً على شيخها أبي العباس الفضل بن علي، وهو الذي وشّح ترجمته في اليتيمة بقوله:" ومن حسن أثره ويُمن نقيبته أن أسفرائيين حرمٌ آمن وجنّة عدنٍ عامرة، وقد شمل سائر كور نيسابور، ونواحيها الخراب وعمّها الاختلال"[4].

وفي أسفرائين تعرف على عدد من رجال الفكر والأدب، وفيها توجه إلى جرجان ثانية، وكان ذلك عام (403هـ) حيث حلّ ضيفاً على

---

(1) سحر البلاغة، ص 5.

(2) الكامل في التاريخ، 9/ 225.

(3) ثمار القلوب، ص 265.

(4) يتيمة الدهر، 4/ 437.

أبي سعد محمد ابن منصور مشير الأمير قابوس[1]، فانعم عليه الأمير والمشير بما هدأ روعه وخفّف من وقع النوائب والغربة عنه، فتفرغ لكتابة النسخة الثانية من "يتيمة الدهر"، وأهدى للأمير كتابه "التمثيل والمحاضرة"[2].

أمران نغّصا عليه الإقامة في جرجان.

أولهما: اختلاف هواء مدينة جرجان وتعاقب الحرّ والبرد في يوم واحد، وهو جو لم يألف الثعالبي مثله في نيسابور، فقال[3]:

الا رُبّ يومٍ لي بجرجان أرعنٍ	ضحكتُ له من خرقِهِ أتَعَجّبُ
وأخشى على نفسي اختلاف هوائه	وما للفتى ممّا قضى الله مهربُ
وما خير يومٍ أخرقٍ متلّون	ببرد وحرٌ بعده يتلهب
فأوّله للفرو والجمر يثقبُ	وآخره للثلج والخيش يضرب

يضاف إلى ذلك الحشرات المؤذية المنتشرة في جرجان، وفيها يقول الثعالبي[4]:

وليلٍ بتّه رَهْنَ اكتئاب	أقاسي فيه أنواع العذاب
إذا شرب البعوض دمي وغنّى	فاللبرغوث رقصٌ في ثيابي

وثانيهما: أن أمير جرجان قابوس – وكان يعيش بظله – تعرض في العام ذاته لتآمر من بعض قادة جيشه، فتنازل عن الحكم لابنه ورضي

(1) تتمة اليتيمة، 1/ 144.
(2) التمثيل والمحاضرة، ص 6.
(3) مجموع شعره المقطعة 8.
(4) خاص الخاص، ص 236.

العيش في منفى، لكن المتآمرين لم يطب لهم عيش ببقائه حياً وخافوا نقمته فعمدوا إلى الفتك به بتعريته في قلب الشتاء القاسي، فهلك ودفن بظاهر جرجان حيث ما زال قبره حتى اليوم قائماً بقرب خرائبها.

إنّ مأساة الأمير الشاعر البليغ قابوس هذه، دفعت الثعالبي إلى مغادرة جرجان إلى الجرجانية – خامس مدينة دارت فيها حياة الثعالبي – وعاصمة مأمون بن مأمون خوارز مشاه، تلبية لدعوة تلقاها من أميرها، وهو يردد في سرّه[1]:

اسلُكْ طريق العزم والحزْمِ	واترك بلادَ الظُلْمِ والغَشْمِ
ما العيش إلاّ أن يكون لمن	أمِنَ المظالم، وافر القسم
كحمام مكة أو رعيَّة ما	مون بن مأمونِ خوارزمِ[2]

إقليم خوارزم في زمننا هذا موزع بين جمهوريتين في الاتحاد السوفيتي المنحل هما: اوزبكستان وتركمانستان، وقد كان لإقليم خوارزم في صدر القرون الوسطى قصبتان: أولاهما في الجانب الغربي – أي الفارسي – من نهر جيحون، تسمى الجرجانية.

والأخرى في الجانب الشرقي، أي التركي مع النهر، ويقال لها كاث، وكانت الجرجانية – أيام الثعالبي – تقع على غلوة من غرب نهر كبير تجري فيه السفن، يأخذ من جيحون، ويجري محاذياً له، وبانحطاط كاث أصبحت الجرجانية أولى مدن إقليم خوارزم، وفي الأزمنة الأخيرة،

---

(1) مخطوطة أحاسن المحاسن، الورقة 65.

(2) انظر أخباره في الكامل في التاريخ، 9/ 132، 264، 422.

كانت تعرف بوجه عام بمدينة خوارزم[1]. وقد اشتهر أهل الجرجانية بالصناعات الدقيقة رجالاً ونساءً، كما اشتهرت بالبطيخ الذي لا يوجد مثله في غيرها من البلاد حلاوة وطيباً، وإقليم خوارزم بلاد خصبة وأهم تجاراته الطعام والحبوب والفواكه والقطن والصوف، وفي أسواق الجرجانية أشهر أنواع الفراء وأغلاها. وأهم تجارات الخوارزم في القرن الرابع الهجري كانت جلب الرقيق، فقد كانوا يشترون أو يسرقون بنات الأتراك من بدو تلك البراري، وبعد تأديبهن بالآداب الإسلامية، يجلبونهن إلى سائر البلاد الإسلامية لبيعهن[2].

وإقليم خوارزم عامة شديد البرودة وقد سجل الثعالبي حالة الطقس هذه في قوله[3]:

لله بردُ خوارزم إذا كلبتْ	أنيابُه وكَسَتْ أبدانَنا الرِّعَدا
فالشمسُ محجوبةٌ والريحُ مُدْمِيةٌ	جلودَ قَوْمٍ أضاعوا الصَبْرَ والجَلَدا
والماءُ مستحجرٌ والكلبُ مُنْجَحرٌ	والزمهريرُ يسوقُ الصِرَّ والصَرَدا
فلو تُقبِّلُ معشوقاً مخالسةً	رأيتَ فاكَ على فيهِ وقد جمدا

والسلطان الذي قصده الثعالبي حين شدّ رحاله إلى الجرجانية، وهو أبو العباس مأمون بن مأمون الذي ورث الملك عن أخيه علي بن مأمون، وخلفه على زوجته أخت السلطان محمود الغزنوي، وكان أديباً ذواقة صنف له الثعالبي عدداً من مصنفاته منها: 1- الملوكي،

(1) بلدان الخلافة الشرقية، ص 489-1491.

(2) بلدان الخلافة الشرقية، ص 502.

(3) خاص الخاص، ص 241-242.

2- المشرق، 3- اللطائف والظرائف، 4- نثر النظم وحل العقد، 5- النهية في الطرد، 6- النسخة الثانية من كتاب النهاية في الكناية، وسماه الكناية والتعريض.

وقد حلّ الثعالبي في موضع أثير من نفس الأمير، ونال لديه حظوة عظمى، فكان نديمه وسميره في مجالس شربه، وكثيراً ما اقترح عليه النظم في أغراض معينة، فيبادر أبو منصور لإجابة طلب الأمير.

ولقد طاب العيش لأبي منصور في ظل خوارزمشاه، حتى لم يجد في الحياة مطلباً وأرباً غير الأمير، والأدب:

شيئان والله ما أقلهما	وليس لي في سواهما أربُ
فإنْ تَقُلْ ما هما أجبْ وأقُلْ	باب خوارزم شاه والأدبُ[1]

وكان الثعالبي يقصد الرياض - في الجرجانية - لتقرّ بها عينه ويُجلى بها خاطره، لكنه يصرح بأنْ شغفه بالروض مردّه لأنه يناسمه بريح الشباب وبأخبار خوارزمشاه.

أرى الروض للإنسان قرة ناظر	وللشاعر الوصّاف قوة خاطر
ولّما أتيناه كوشي منمنمٍ	تلوح عليه مونقات الجواهر
سَعَتْ نحونا أيدي الصبا بمجامرٍ	ومدّ علينا الغيمُ دُكنَ الستائر
تلاقى به دمع الغمام، وأدمع!!	مدام، ودمع الصبّ بين المحاجر
فيالك من روضٍ كأنّ نسيمه	نسيم حبيب في دجى الليل زائر
وما شغفي بالروض إلاّ لأنّه	يناسمني ريح الشباب المسافر

---

(1) برد الأكباد، ص 1111.

وأخبار مأمون بن مأمون الذي   يصون غصون الملك عن كل كاسر[1]

ويقترح مأمون بن مأمون خوارزمشاه على الثعالبي تهنئته بنبات أسنان ابنه، فيقول أبو منصور:

لِيَهْنِكَ يا شمس الزمان وبَدْرَهُ   طلوع النجوم الزُهر في في هلالكا [2]

ولقد ذكر البيهقي أنه سمع الثعالبي يقول: أنه كان يحضر مجلس الشراب الذي كان يرأسه خوارزم شاه، وأنّ خوارزم شاه كثيراً ما كان يشرب حتى الثمالة.

ونقل البيهقي عن لسان البيروني: أنّ أبا العباس المأمون بن خوارزم شاه آخر أمراء الأسرة المأمونية، كان رجلاً فاضلاً شهماً، يتحلى بالأخلاق الفاضلة، ومع هذا كان يفرط أحياناً في شرب الخمر، وكان يجلس للشراب ويدعو صفوة الأولياء، والحشم والندماء، وأبناء الأمراء الذين كانوا في البلاد، من السامانيين وغيرهم، وكان يأمرهم بدعوة الرسل الذين جاءوا من الأطراف، فيدعونهم بما يليق بمكانتهم ويجلسونهم، فكان إذا أمسك بالقدح الثالث يقف ويشربه في نخب ذكرى السلطان محمود، ثم يشير إليهم واحداً واحداً، فيقبلون الأرض، ويقفون حتى يشربوا الكأس جميعاً، ثم يشير إليهم بالجلوس، ويجيء الخادم وفي أثره يؤتى بصلات المغنيين، لكل واحد منهم حصان قيّم وكسوة وكيس فيه عشرة آلاف درهم[3].

---

(1) مخطوطة أحاسن المحاسن الورقتان 26-27.

(2) مخطوطة التوفيق للتلفيق، الورقة 18.

(3) تاريخ البيهقي، ص 734.

لقد كان بلاط أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه منتجعاً للعلماء والأدباء والشعراء، ومن أشهر الشعراء المختصين به: أبو الفضل محمد بن أحمد الهلالي[1]، وهو أديب شاعر مفلق، ومنهم أبو الحسين أحمد بن محمد السهيلي وكان قد ورد لعلي بن مأمون خوارزم شاه ثم لأخيه أبي العباس، ثم خرج سنة (404هـ) إلى بغداد مغاضباً[2].

وكان خوارزم شاه هذا مُمَدَّحاً، مدحه عدد كبير من الشعراء، فمن مدّاحه أحمد بن محمد الصخري[3]، ومحمد بن أحمد المعصومي[4]، والثعالبي وغيرهم.

وواضح من أشعار هؤلاء أن خوارزم شاه مأمون بن مأمون كان متخرقاً في جوده، وإلى ذلك يشير المعصومي في قوله[5]:

يا أيها الملك الذي انقادت له	جمحات هذا الدهر بعدَ شِماسِ
لكَ هِمَّةٌ في المجد مأمونيّة	أعيَتْ سَمِيَّكَ من بني العباس
ذو راحةٍ حكَمتْ لحاتم طَيِّءٍ	ولخالدٍ في الجود والإفلاس
لم يُلْهِهِ عن ضبط حوزة مُلْكهِ	سُكْرُ الشباب ولا حُمَيّا الكأس
وليهنِكَ الملك الذي أُلْبِسْتَهُ	يا خير لبّاس لخير لباسِ
فاللهُ لم يبعثك إلاّ رحمةً	مبسوطةً للناس بعد الناس

(1) المحمدون، ص 51-52.
(2) معجم الأدباء، 4/ 261، والوافي بالوفيات، 8/ 148، وتتمة اليتيمة، 2/ 23-24.
(3) معجم الأدباء، 5/ 26-27.
(4) ترجمته في تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي، ص 120.
(5) المحمدون، ص 10-11.

طبيعة سخية، وملك مفرطٌ في السخاء.

وإذا أضفنا لهذا كله ما عُرف به أهل خوارزم من كرم وسخاء، وحبٍّ للغرباء وإكرام للضيف على ما ذكر ابن بطوطة[1]، فهمنا سر تعلق الثعالبي بهذا الإقليم وبملكه، ومدحه إياه في العديد من قصائده، التي وصلت إلينا منها مقطعات. فممّا قاله في مدحه مشيراً إلى تخرقه في الجود[2]:

رعى الله مأمون بن مأمون الذي	رعاياه منه في زمان البرامك
ولا برِحَتْ أيامُه بفعالِهِ	وإنعامه المشهور غرُّ المضاحك

ولقد ظلّ الثعالبي يتفيأ ظلال خوارزمشاه وينعم بكرمه، حتى انتهت حياة الملك عام (407هـ)، بثورة قواده عليه واغتيالهم له حين استجاب إلى طلب السلطان محمود الغزنوي فأقام الخطبة باسمه[3]، فانطوت بذلك إحدى صحائف السرور في حياة الثعالبي.

ولقد شدّت الثعالبي بأحد أعيان خوارزم وهو محمد بن حامد الحامدي[4]، صلة مودة، وكان المذكور متولياً خزانة كتب الملك، والسفارة له بين الملوك والأمراء، فأهدى إليه كتابه: "تحفة الوزراء"[5]، وكان الحامدي المذكور أديباً شاعراً ناثراً حسن الخط.

---

(1) رحلة ابن بطوطة، ص 361.

(2) ثمار القلوب، ص 203، وانظر المقطعات، 53، 93، 106، 142، 145، من مجموع شعره المنشور بالمورد.

(3) الكامل في التاريخ، 9/ 264.

(4) انظر ترجمته في "الحمدون" ص 319-320، واليتيمة، 4/ 248-254.

(5) الذي في الإهداء أنه لأبي عبدالله الحمدوني، وذهب محمود الجادر في كتابه الثعالبي ناقداً وأديباً، ص 40 أن المقصود هو أبو عبدالله محمد بن حامد، وانه أهدى إليه كتابين هما: أحسن ما سمعت، وتحفة الوزراء. ولم أجد في مقدمة "أحسن ما سمعت" أنه أهداه لأحد.

كان رحيل الثعالبي عن الجرجانية عام (407هـ) أو قبلها متوجهاً نحو غزنة سادس مدينة دارت فيها حياته اشتهرت في التاريخ في ختام القرن الرابع الهجري، كانت عاصمة السلطان العظيم محمود الغزنوي الذي امتدّ سلطانه من الهند إلى بغداد[1]، وقد جدد السلطان محمود بناء غزنة في نحو سنة (415هـ) عند رجوعه إلى بلاده محمّلاً بالغنائم من الهند، وبلغت المدينة أوج ازدهارها في أيامه واستمرت على ذلك نحو نيف وقرن، وكان السلطان محمود قد تولى الحكم بعد وفاة والده، ناصر الدين سبكتكين سنة (387هـ) وكانت للثعالبي معرفة بالسلطان محمود، وذلك حين امتدحه، مهنئاً بفتح سجستان سنة (393هـ)، واستعادتها من العصاة فأنشده قصيدته التي أولها:

يا خاتم الملك ويا قاهر الـ   أملاك بين الأخذ والصَفح [2]

وقد اغتنم فرصة قدومه لغزنة فأهدى للسلطان كتابه "لطائف المعارف" ثم انثنى يوطد علائقه بأخي السلطان صديقه القديم الأمير نصر بن ناصر الدين، مجدداً ما كان بينهما من مودة أيام نيسابور، فأتحفه بكتابيه: "اليواقيت في بعض المواقيت"، و"غرر أخبار الفرس وسيرهم".

وقد مدح أبو منصور السلطان محمود بقصائد عديدة منها قصيدته التي مطلعها:

---

(1) انظر الكامل في التاريخ، 9/ 401، وكتاب اليميني كتبه محمد بن عبد الجبار العتبي في سيرة هذا السلطان.

(2) اليميني، 1/ 388-389.

سعدت بغرة وجهك الأيام   وتزينت ببقائِكَ الأعوامُ[1]

ومنها قوله[2]:

للسيد الملك الهمام المرتجى   "محمود" المتطوّلِ الميمونِ
رأيُ الرشيدِ وهيبةُ المنصورِ في   حُسْنِ الأمين وحِشمة المأمونِ

ويجيء عام (412هـ) فيرُزأ الثعالبي بوفاة صديقه الأمير نصر، فكتب يعزي السلطان بوفاة أبي المظفر[3]:

صنو أعلى الملوك ورَّثهُ عمراً   طويلاً أحبب بذلك عمرا
كان ظَفْراً له فقد صار أجرا   كان فخراً له فقد عاد ذخرا

وكان أبو منصور قد صنف بغزنة كتابه "زاد سفر الملوك"، وأهداه لأبي سعيد الحسن بن سهل[4].

ولقد تركت أيامه في غزنة ظلالاً في شعره، فمن ذلك قوله[5]:

واهاً لغزنة إذ غَدَتْ   للمُلْك والإسلام دارا
من كعبةٍ قد أصبحت   للمجد والعليا مدارا
في صدرها الملك الذي   قطبُ السّعودِ عليه دارا

(1) اليميني، 1/ 383-384.
(2) مخطوطة التوفيق للتلفيق، الورقة 24.
(3) مخطوطة روح الروح، الورقة 58.
(4) مخطوطة زاد سفر الملوك، الورقة 1.
(5) نهاية الأدب، 1/ 365.

وقوله من قصيدة أخرى[1]:

يا دار مُلْكٍ نرى كلّ الجمال بها   وأسعد الدهر تبدو من جوانبها
كأنّما جنّة الفردوس قد نزلت   بأرض غزنة تعجيلاً لصاحبها

وقوله من أخرى[2]:

طلع الربيعُ بطلعة السرّاءِ   متبلّجاً عن نعمة بيضاءِ
فابرزْ إلى صحراءَ غزنةَ كي ترى   من حسنها الغبراءَ كالخضراءِ
وأشرب على الحمراء، والصفراء من   صهباء تنفي غمّة السوداء

وعلى الرغم من أن أبا منصور غادر غزنة بعد وفاة صديقه الأمير نصر واتجه إلى هراة سابع مدينة دارت حياته فيها إلاّ أنّ صلته الروحية لم تنقطع بسلاطين الدولة الغزنوية، فهو يرثي السلطان محمود بن سبكتكين عند وفاته سننة (421هـ)[3].

وهو يمتدح السلطان محمد بن محمود الغزنوي[4]، الذي تغلب عليه أخوه السلطان مسعود فأزاله عن الملك، ثم عاد إليه، لكنه لم يمتع به استأصل شأفته وأولاده مودود بن مسعود سنة (432هـ)[5].

---

(1) لطائف المعارف، ص 208.
(2) مخطوطة التوفيق للتلفيق، الورقتان، 37-38.
(3) انظر المقطعة (146) من مجموع شعره.
(4) مرآة المروءات، ص 26.
(5) الكامل في التاريخ، 9/ 203.

أقول وهو يمتدحه بأكثر من قصيدة، فمن ذلك قوله[1]:

دع الأساطير والأنباء ناحيةً وعاين المَلِكَ المنصورَ مسعودا
ترى الأكابر طُراً والملوك معاً ورستماً وسليمانَ بن داودا

وانظر المقطعة (141) من مجموع شعره.

وكانت لأبي منصور علائق واسعة متشعبة مع أعيان الدولة وصدورها، وأدبائها وقضاتها في غزنة، ومن هؤلاء محمد بن عيسى الكرجي الذي فصنَّفَ له كتاب "تحسين القبيح وتقبيح الحسن".

في هراة حلّ ضيفاً على القاضي منصور بن محمد الهروي الأزدي[2]، فصنَّفَ باسمه كتاب اللطيف في الطيب وكتاب الإيجاز والإعجاز، فأثابه القاضي على ذلك، ثم غادر هراة والحنين يشده إلى مراتع صباه في نيسابور، فبلغها وقد تجاوز الستين، وتلقت نيسابور ابنها العائد بشوق وترحاب، وأنشده شاعرها الحسن بن مؤمل الحربي أبياتاً تعبر عن مدى سرور البلد بعودته[3]:

قد أشرقت أرجاءُ نيسابورِ وطلعتْ طلائعُ السرورِ
بِعَوْدِ مولانا أبي منصور لا زال في عزٍ وفي حبور
ودولةٍ تبقى على الدهور

(1) خاص الخاص، ص 237.

(2) انظر ترجمته في تتمة اليتيمة، 2/ 46.

(3) تتمة اليتيمة، 2/ 23.

وفي ظل صديقه الأثير الأمير أبي الفضل عبيد الله أحمد الميكالي، أمضى الثعالبي أعوامه الأخيرة، فصنَّفَ له كتاب "ثمار القلوب" وكان قد صنف له قبله كتاب "فضل من اسمه الفضل".

واختصر كتاباً في المختارات الشعرية صنَّفه الميكالي وسمّاه المنتخل، وأخذ برأي الميكالي في تأليف كتاب لغوي رسم له معالمه وقواعده، فاختلى أبو منصور بضيعة له بعيدة المزار جمع فيها بين الخلوة والتأليف بعد أن زوده الأمير الميكالي من ثمار خزائن كتبه ما استظهر به على ما هو بصدده، فكانت ثمرة هذا الجهد كتاب "فقه اللغة" الذي أهداه الثعالبي للميكالي[1].

وحدث أن داهم "القُفص" ضيعة أبي منصور ونهبوا غلالها، كما نهبوا غلال كثير من قرى خراسان – وكان ذلك عام (420هـ) – وهؤلاء القفص كانوا يسكنون جبالاً بكرمان وهم قوم لا أخلاق لهم ولا دين، وجوههم وحشة، وقلوبهم قاسية نزعت منها الرحمة، لا يقنعون بأخذ المال حتى يقتلوا صاحبه، ولا يبقون على أحد، ولهم مكامن في الجبال يمتنعون بها[2] وقد حزن الثعالبي لأنّ قومه آثروا تربية البقر على تربية الخيول فاستطاع "القفص" أن يذلوهم ويسلبوا خيراتهم:

قلت لمّا ساقني القفص لنا ... بقرُ ذقنا به حرّ سقر
فاتنا عز نواصي الخيل فلـ ... ـيبق فينا ذل أذناب البقر[3]

---

(1) فقه اللغة، ص 15-16.

(2) معجم البلدان، 4/ 149.

(3) مخطوطة التوفيق للتلفيق، الورقة 24.

وانزوى الثعالبي في ضيعته خوفاً وفرقاً، ومن مكمنه هناك كتب للأمير الميكالي[1].

أيا واحد السادات لا زلت شارباً بكأس نعيم من فنون الأذى خَلَصْ
أنا بجناح الشوق نحوك طائرٌ ولكنّ خوف "القُفْصِ" أدخلني القَفَص

وهناك قصائد ومقطعات كثيرة كرّسها الثعالبي لمدح الميكالي وإزجاء الشكر له على أفضاله المتوالية.

وفي عام (422هـ) ولي أبو سهل الحمدوني نائباً عن السلطان الغزنوي مسعود بن محمود[2]، وأبو سهل هذا كانت له صلة معرفة بابي منصور الذي أهداه في الماضي الإخراجة الثانية من كتاب "سحر البلاغة".

فسُرَّ الثعالبي بمقدمه، وصنف له ثلاثة كتب هي: برد الأكباد في الإعداد، اللطف واللطائف، مرآة المروءات.

وجاء عام (424هـ) فحلّ السلطان مسعود بنيسابور مع وجوه دولته وأعيانها مدة، قاصداً بغداد[3]، فاغتنم أبو منصور الفرصة فمدح السلطان شعراً[4]، ومدح وزيره أبا نصر أحمد بن محمد[5].

وصنّف للشيخ العارض مسافر بن الحسن كتاب "خاص الخاص" وكانت بينهما صلة مودة وتراسل وتواد.

---

(1) مخطوطة التوفيق للتلفيق، الورقة 31.
(2) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزامباور، ص 80.
(3) الكامل في التاريخ، 9/ 428.
(4) انظر المقطعتين 59 و 141 من مجموع شعره.
(5) انظر خاص الخاص، ص 238.

وكان الحسن إبراهيم الصيمري ممّن صحب السلطان إلى نيسابور، وحدث أن أعجب المذكور بكتاب "فقه اللغة" فاختصره أبو منصور وسمّى المختصر "خصائص اللغة" وأهداه للصيمري[1].

وعكف على كتابه "تتمة اليتيمة" وأهدى مسوّدتها إلى الشيخ محمد ابن عيسى الكرجي صديقه القديم – وكان في صحبة السلطان – لمّا أعجبه السفر[2].

ووردت إلى السلطان مسعود وهو بنيسابور أنباء عن عصيان نائبه على الهند، فعدل عن التوجه إلى بغداد، وعاد مع مرافقيه إلى غزنة[3].

فانصرف الثعالبي إلى تنقيح كتابه "تتمة اليتيمة" مترجماً فيه للعديد ممن عرفهم من حاشية السلطان مسعود من الأدباء.

وأتم تأليف كتابه الغلمان[4]، وذكر في التتمة أنه بسبيل تصنيف كتاب "سر الصناعة" غير أننا لا نعلم أتمه أم لم يتمه.

وفي عام (429هـ) توفي أبو منصور بنيسابور، فانطوت بوفاته موسوعة في تاريخنا الأدبي، رحمه الله[5].

---

(1) الثعالبي ناقداً وأديباً، ص 48.

(2) تتمة اليتيمة، 1/ 1.

(3) الكامل في التاريخ، 9/ 428.

(4) انظر تاريخ آداب العربية لجرجي زيدان، 2/ 597، حيث ذكر مخطوطات كتاب الغلمان. ووهم الجادر في ظنه قال إن هذا الكتاب يعد في حكم المفقود اليوم، انظر: الثعالبي ناقداً وأديباً، ص 48.

(5) وفيات الأعيان (ط. محيي الدين عبد الحميد)، 2/ 352، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفدا، 4/ 62،/ البداية والنهاية لابن كثير، 12/ 44.

وقد رثاه صديقه أبو سعد عبد الرحمن بن دوست بالأبيات التالية[1]:

كان أبو منصورِ الثعلبي أبرعَ في الآداب من ثعلبْ
ليت الرَّدى قدَّمني قبله لكنّه أروغُ من ثعلبْ
يطعنُ من شاءَ مِن الناسِ بالـ ـموتِ كطعن الرُّمحِ بالثعلب

---

(1) مخطوطة الوافي بالوفيات، 15/17، القسم الثاني، الورقة 270.

آثاره:

لم يحاول أحد من القدامى حصر مصنفات الثعالبي، وأوسع القوائم وهي: قائمة الصفدي أورد فيها أسماء سبعين مصنّفاً من مصنفات الثعالبي، ثم أعقبها بقوله: "وله غير ذلك أشياء كثيرة"، وفيما يلي قائمة بما طبع من آثاره.

1- **أجناس التجنيس = المتشابه لفظاً وخطّاً**: نشره ببغداد الدكتور إبراهيم السامرائي بعنوان المتشابه في العدد العاشر من مجلة كلية الآداب – نيسان 1967، ونشره محمود عبدالله الجادر ببيروت، 1997، وأعاد الجادر نشره ببغداد سنة 1998.

2- **آداب الملوك**:بتحقيق د. جليل العطية، بيروت، 1991.

3- **أحسن ما سمعت**: طبعه محمد صادق عنبر في مصر سنة (1324هـ).

4- **الإعجاز والإيجاز**: طبع بعنوان الإيجاز والإعجاز ضمن كتاب "خمس رسائل" المطبوع في الأستانة سنة (1301هـ)، وطبعه اسكندر أصاف في مصر سنة 1897، وأعادت دار صعب في بيروت ودار البيان طبع نشرة آصاف بالأوفسيت في بيروت دون ذكر السنة.

5- **الاقتباس من القرآن الكريم**: نشرت الجزء الأول منه ابتسام مرهون الصفار ببغداد سنة 1975، ونشر الجزء الثاني بمصر تحقيق ابتسام الصفار سنة 1986 ومجاهد مصطفى بهجت، ونشر في مصر في سلسلة الذخائر، الهيئة العامة للقصور 2003، وفي إربد، المملكة الأردنية الهاشمية، عالم الكتب الحديث، 2008.

6- **الأنيس في غرر التجنيس**: نشره هلال ناجي في بغداد سنة 1982.

7- برد الأكباد في الإعداد: طبع في الأستانة سنة (301هـ) ضمن كتاب خمس رسائل في مطبعة الجوائب، وأعادت دار الكتب العلمية في النجف نشره بالأوفسيت دون ذكر السنة.

8- تتمة اليتيمة: طبعت في جزءين بمطبعة فردين في طهران سنة (1353هـ) بتحقيق عباس إقبال.

9- تحسين القبيح وتقبيح الحسن: نشره شاكر العاشور مُنَجماً في مجلة الكتاب ببغداد عامي 1974-1975، ثم أعاد نشره في مطبوع مستقل من مطبوعات وزارة الأوقاف ببغداد سنة 1981، ونشره ثالثة بدمشق سنة 2006.

10- التمثيل والمحاضرة: نشره عبد الفتاح محمد الحلو في القاهرة سنة 1961.

11- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: نشره محمد أبو الفضل إبراهيم في القاهرة سنة 1965، وكان قد نشره أولاً أبو شادي بمطبعة الظاهر سنة (1326هـ)، ونشره الأستاذ إبراهيم صالح بدار البشائر بدمشق سنة 1994 في مجلدين.

12- خاص الخاص: طبع في تونس سنة (2293هـ)، ثم طبع بمصر بعناية محمود السمكري بمطبعة السعادة سنة (1326هـ)، وطبعته دار مكتبة الحياة ببيروت سنة 1966، بتقديم حسن الأمين، طبعة أساءت للكتاب بإسقاط مقدمته التي فيها سياقة الأبواب.

13- سحر البلاغة وسرّ البراعة: طبع في دمشق بتحقيق أحمد عبيد، طبعة غير مؤرخة.

14- الظرائف واللطائف: دمج أبو نصر المقدسي هذا الكتاب مع كتاب اليواقيت والمواقيت وسمّى المجموع "اللطائف والظرائف"، وبالعنوان الأخير طبع بمصر سنة (1275هـ و 1296هـ و 1307هـ) وطبع ببغداد سنة (1282هـ).

15- **غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم**: نشر في باريس بتحقيق زوتنبرك سنة (1900هـ).

16- **كتاب غرر البلاغة في النظم والنثر**: حققه قحطان رشيد صالح، بغداد، 1998.

17- **فقه اللغة وسرّ العربية**: أجود طبعاته بتحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري بمصر سنة 1938م.

18- **الكناية والتعريض - النهاية في الكناية**: طبع بمطبعة السعادة سنة (1326هـ) مع كتاب المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء للجرجاني، وهي طبعة أعادت دار صعب ودار البيان نشرها بالأوفسيت ضمن كتاب "رسائل الثعالبي" وطبع بمصر سنة 1998، تحقيق عائشة حسين فريد.

19- **لطائف الظرفاء لطائف الصحابة والتابعين ليدن 452، كتاب في الأدب بلا عنوان باريس 4201 اللطف واللطائف – دمشق 11005**. نشره الدكتور عمر الأسعد في بيروت سنة 1980 معتمداً مخطوطة واحدة في برنستون وكان قد نشره بلايدن الدكتور قاسم السامرائي بطريقة تصوير مخطوطة ليدن سنة 1978.

20- لطائف المعارف: طبع بعناية المستشرق دي يونغ في ليدن سنة 1867م، وأعاد طبعه حسن كامل الصيرفي وإبراهيم الأبياري في القاهرة سنة 1960.

21- المبهج: طبع في مطبعة النجاح بمصر سنة 1904، وحققه الأستاذ إبراهيم صالح ونشره بدمشق سنة 1999.

22- مرآة المروءات: طبع في مطبعة الترقي سنة 1898م.

23- المنتخل: صَحِّف إلى المنتحل، والكتاب في أصله من تصنيف أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي، وقد اختصره الثعالبي، وطبع هذا المختصر منسوباً للثعالبي في الإسكندرية سنة 1901م، بتحقيق أحمد أبو علي.

24- من غاب عنه المطرب: طبع في القسطنطينية سنة (1302هـ) بمطبعة الجوائب ضمن مجموعة التحفة البهية، وطبعه النبوي شعلان بمصر 1984. ثم طبعه عبد المعين الملوحي بدمشق سنة 1987، وكانت نشرة يونس السامرائي أجود النشرات.

25- نثر النظم وحلّ العقد: طبع بدمشق وعلى هامشه الفرائد والقلائد سنة (1301هـ)، وطبع بمصر سنة (1317هـ)، وأعادت طبعه بالأوفسيت في بيروت - دار صعب ودار البيان - وبهامشه الفرائد والقلائد ناسبة الكتاب الأخير للثعالبي وهماً - وهو للأهوازي - ولم أجد للطبعة تاريخاً.

26- نسيم السَّحَر: مختصر من كتاب فقه اللغة، نشره محمد حسن آل ياسين ببغداد، ثم أعادت نشره ابتسام مرهون الصفار في المجلد الأول من مجلة المورد ببغداد سنة 1971.

27- النهية في الطرد والغنية: طبع بمكة المكرمة سنة (1301هـ)، وفي القاهرة سنة (1326هـ).

28- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أشهر كتب الثعالبي على الإطلاق. طبعت غير مرة ومن طبعاتها طبعة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد (ط2) (1375هـ-1956م)، القاهرة مطبعة السعادة في 4 أجزاء.

29- اليواقيت في بعض المواقيت: أدمجه أبو النصر المقدسي مع كتاب الظرائف واللطائف، مُبْقِياً على مقدميتهما وسمى المجموع "اللطائف والظرائف" وطبع المجموع عدة مرات، ينظر الرقم 13، ثُمَّ نشره سنة 1990 ببغداد محمد جاسم الحديثي بعنوان "اليواقيت في بعض المواقيت".

30- أحاسن المحاسن: منه مخطوطة وحيدة في العالم محفوظة في باريس برقم (3306) زودت بمصورتها ابننا الروحي الدكتور ياسر أحمد فياض الفهداوي، ونال بها الدكتوراه من كلية آداب الأنبار ولم تطبع بعد.

31- التوفيق للتلفيق: نشره محققاً ببغداد في مطبوعات المجمع العلمي العراقي هلال ناجي وزهير زاهد سنة 1985، وكان قد نشره الأستاذ إبراهيم صالح بدمشق قبل ذلك، ثم أعاد هلال وزهير طبعه في بيروت سنة 1996.

32- ديوان الثعالبي: جمعه ابتداءً عبد الفتاح الحلو – رحمه الله – ونشره في المورد، ثم جمعه وحققه محمود عبدالله الجادر ونشره في بغداد سنة 1990.

33- **لطائف الكتب ومحاسنها**: نشرها هلال ناجي في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة 1996.

34- **اللطف واللطائف**: حققه محمود عبد الله الجادر – رحمه الله – نشره في الكويت سنة 1984 وثانية في العراق سنة 1997، وثالثة في بغداد سنة 2003.

35- **لباب الآداب**: جزأن حققه ونشره قحطان رشيد التميمي وطبع ببغداد سنة 1988م.

36- **تحفة الوزراء**: طبعته المستشرقة الألمانية ريجينا هاينكة في مجلة الأبحاث ببيروت سنة 1972، وشككت في نسبته للثعالبي، وأعادت نشره ابتسام مرهون الصفار، وحبيب الراوي ببغداد سنة 1977، ونشر في عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، 2008.

37- زاد سفر الملوك: وهو كتابنا هذا وسنخصّه بفقرة مستقلة.

وصف المخطوطة:

المخطوطة التي اعتمدناها في تحقيق الكتاب فريدة في الدنيا، وتقع ضمن مجموع رقمه (5067)، وهي الكتاب الثالث في المجموع المحفوظ في مكتبة جستريتني بدبلن في إرلندة إنَّ عدم ذكر القدامى له في مصنفات الثعالبي لا يطعن في صحة نسبة الكتاب إليه.

فالأدلة على أن هذا لكتاب من مصنفات كثيرة ومنها:

1- أن ورقة العنوان تحمل اسمه بالنص التالي (كتاب زاد سفر الملوك) تأليف الأستاذ أبي منصور عبدالملك بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري رحمه الله عليه)، ويقع الكتاب في خمس وثلاثين ورقة كتبت بخط جميل عدة كل ورقة صفحتان، ومعدل سطور الصفحة الواحدة ستة عشر سطراً.

2- إنّ أسلوبه مماثل لأسلوب الثعالبي في تصانيفه، بدءاً من كتابة مقدمة أهدى فيها الكتاب إلى علم من أعلام عصره في غزنة هو أبو سعيد الحسن بن سهل، ويماثله أيضاً في ذكر موضوع الكتاب وثبت أبوابه تفصيلاً، وعدتها أربعة وأربعون باباً.

3- أورد المؤلف نصوصاً من كتابه "المبهج" نسبها لنفسه صراحة – تنظر الهوامش 9 و 23 وغيرها.

4- أورد أشعاراً نسبها لنفسه صراحة، وقد وردت في المصادر منسوبة له.

5- أن جميع الذين استشهد بأقوالهم أو أشعارهم كانوا ممن سبقوا الثعالبي زمناً أو عاصروه، وليس فيهم أحد متأخر عنه.

6- وهذه الأدلة مجتمعة توثّق نسبة الكتاب إلى الثعالبي، صنَّفَهُ بعد رحيله من الجرجانية إلى غزنة وهي سادس مدينة دارت فيها حياة الثعالبي، وغزنة هذه كانت عاصمة السلطان العظيم محمود الغزنوي الذي امتدّ سلطانه من الهند إلى بغداد، وكان رحيله من الجرجانية عام (407هـ) أو قبلها، ووثق الثعالبي صلاته بالسلطان وأخيه الأمير نصر بن ناصر الدين سبكتكين وصنّف باسميهما كتباً عدة ذكرناها فيما تقدم، وامتدح السلطان بأشعار وصلت إلينا، وكان السلطان قد جدّد بناء غزنة نحو سنة (415هـ).

وخلال وجوده بغزنة صنّف كتابه هذا وأهداه لأبي سعيد الحسن بن سهل من أعلام الدولة الغزنوية. وبعد وفاة الأمير نصر شقيق السلطان سنة (412هـ) رثاه الثعالبي ثم رحل من غزنة إلى هراة، لكنّ غزنة تركت في إشعاره أثراً واضحاً وظلت صلاته الروحية بسلاطين الدولة الغزنوية مستمرة وكانت لأبي منصور علائق متشعبة مع أعيان الدولة وصدورها.

خاتمة:

لأبي منصور الثعالبي في رقاب التراثيين العرب دينان: دين حفظه أدب القرن الرابع الهجري وشطراً من الخامس، شعراً ونثراً، بما صنف وألّف، حتى كانت تصانيفه تاريخاً أدبياً لهذه الفترة المهمة من تاريخنا.

ودين حُبِّه العميق لأمتنا العربية والذي عبَّر عنه أصدق تعبير بقوله: إن من أحبّ الله أحبّ رسوله المصطفى ﷺ. ومن أحبّ النبي العربيَّ أحبَّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ العربية عُنيَ بها وثابَرَ عليها وصرف همّتهُ إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمداً ﷺ خير الرسل، والإسلام خيرُ الملل، والعرب خيرُ الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقّه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزند للنار...".

ولعلّ مواصلتنا إحياء آثاره الدفينة سدادٌ لبعض الدين الذي في رقابنا، "ورحم الله أبا منصور الذي صنّف، فأتحف، وكتب فأنصف.

مكتبة هلال بن ناجي الشقاقي

وكان الفراغ من تحبيره في عام 1429هـ


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



النصُّ المحقق



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم
وما توفيق إلاّ بالله العليّ العظيم

كتب عبد الملك بن محمد بن إسماعيل إلى أبي سعيدٍ الحسن بن سهل عند دخوله الحضرة بغزنة.

من أيادي الشيخ – أدام الله عزّه وأعلا أمره – عندي، وقلائد مِنَنِه في عُنقي، أنّه ذكّرني في حال شخوصهِ بالطائر الأسخ، وقدومه بالطالع الأسنح، وما أنستْنيه الأيامُ من حُرِّ الكلام في أسفار السادة والكُبراءِ، واستقلال الركاب بهم في ضمان النجح والسرّاء، وتوديع أصاغر العافية بوداعهم، [و] في مفارقة أوليائهم العيشة الراضية بفراقهم، ومسير أنفسهم معهم وإن تأخّرتْ أبدانُهم عنهم، وتعلّلهم أنّ الدُنّو دنّو النفوس لا دنوُّ الشخوص، وأنّ الاعتماد على تقارب القلوب مع تباعد الجسام وتشييعهم إيّاهم بالدعاء الأحسن، والفأل الأيمن، وتشبيهَهُمْ أنفسهم بعلم بنبتٍ ذابلٍ امسك قطره، وساري ليلٍ غاب قمرهُ، وحُسن تصرّفهم في الإفصاح عن سائر الأحوال في الأسفار، وما يتّصل بها من الأطوار، ثُمَّ استرواحهم لما يهبّ من نسيم قربهم، ويظهر من تباشير عودهم إلى مراكز عزّهم، كعود الحليِّ إلى العاطل، والغيث إلى الروض الماحل، ووصفهم السرور (12آ) بقدومهم الذي فيه حياة الأمل، وصلاح الأحوال، وإياب اليُمْن والبركة بإيابهم، حتى استمليتُ من تصحيفه(*)، مولاي الشيخ – أدام الله تأييده وعبودتي له واختصاصي به – كتاباً باسمه في السفر، وأوصافه، وآدابه، وأمثاله، وسائر أحواله، وما يتعلّق به،

(*) هكذا في الأصل.

وينخرط في سلكه، من أحسن ما تحفَّظْته سالفاً، وتذكّرته آنفـاً، وأخرجتـه في خمسين بابا، وهذا ثبت مودعاتها على الولاء[1].

1- مدح السفر.
2- الاغتراب لطلب الرزق والذكر.
3- العزم على السفر وأخذ الأهبة.
4- التفاؤل للمسافر والدعاء له.
45- أحاسن الشعر في الدعاء للمسافر.
46- وداع السادة [و] الرؤساء.
47- وداع الأخوان والأصدقاء والأحبّاء.
48- [ذكر التشييع].
49- [غيبة الرؤساء والأصدقاء والأحباء].
50- التلاقـي بـالنفوس مـع تبـاين الجسوم والترائـي بـالقلوب دون العيون.
5- الشوق على قرب العهد ويسير الفرقة.
6- سائر الأحاسن في الشوق.
7- ذمّ الفراق.
8- مدح الفراق.
9- التزام اللوم عند الفراق.
10- ذم السفر.
11- أدب السفر.

---

[1] الأرقام من وضعنا وليست من الأصل، وتسلسلها هنا راعينا فيه تسلسل الأبـواب في المـتن، وما بين عضادتين أبواب موجودة في المتن وساقطة في هذا الثبت، فأثبتناها نقلاً عن المتن.

12- [أمثال السفر].

13- أبيات التمثل والمحاضرة في السفر.

14- تدبير المسافر.

15- دفع ضرر المياه ورداءتها.

16- [الاحتراس من الحرّ وتلافي ضرره بالمسافر].

17- الاحتراس من السموم وعلاج ما يحدث من نكايتها (2ب).

18- تسكين العطش ودفع مضارّه.

19- في تدبير المسافر في البرد.

20- علاج من أصابه جمود من البرد.

21- [حفظ الأطراف من البرد].

22- علاج قمر العين من كثرة النظر إلى الثلج.

23- علاج التعب والإعياء الشديد.

24- اختيار منازل العسكر.

25- تدبير راكب البحر.

26- نكت في ركوب البحر.

27- فقه السفر.

28- غزل السفر.

29- أحاسن ما قيل في المفاوز وأحوال السفر وذكر السراب والحرّ والمطر.

30- إدامة السفر وكثرة التقلب في البلاد وقطع الطرق الشاقة.

31- التعلّل بتحسين الغربة.

32- ذم الغربة.

33- الحنين إلى الوطن.

34- تذكّر الأيام السالفة.

35- إهداء السلام.

36- الدعاء بتيسير اللقاء

37- لطائف المكاتبات بالشعر.

38- قرب اللقاء ووشك القدوم.

39- ذكر القدوم.

40- التهاني بالقدوم.

41- التهنئة بالحجّ.

42- الآداب في الإياب.

43- زيارة القادم والتسليم عليه.

44- إهداء القادمين من السفر.

والله أسأل أن يعرف الشيخ من بركات هذا الكتاب الجديد ما يستغرق القرطاس والأنقاس، ويستنفذ الأقلام بل الكلام، ولا يبلغ التمام، وإن يقرن قدومه بالخيرة التامة، والسعادة الخاصة، والكفاية الشاملة، والبهجة الكاملة وأن لا يخليه في سفره، وحضره، ومقامه، (3آ) وظعنه، وكافة متصرفاته من الصنع الجميل، والنجح القريب، وإن يحسن إمتاعه بمحاسنه التي أصبح بها فرد عصره، ومعاليه التي حازها دون أهل دهره، وإن يوفقني للتقرب إلى حضرته، وتزجية باقي العمر في خدمته وشكر نعمته، وهذا حين سياقة الأبواب، والله تعالى الموفق للصواب.

[1]

مدح السفر

قد مدح الله تعالى المسافرين فقال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[1].

وأمر سبحانه بالسَّفر فقال: ﴿ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[2].

وقال عزوجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[3].

وفي التوراة: "يا ابن آدم جدد لك سفراً أجدِّد لك رزقاً"[4].

وقال النبي ﷺ "سافروا تغنموا وصوموا تصحّوا"[5].

---

(1) الآية رقم 20 سورة المزمل، 73.

(2) الآية رقم 10 من سورة الجمعة 62.

(3) الآية رقم 15 من سورة الملك 67.

(4) الحكم والأمثال: لأبي احمد الحسن بن عبدالله العسكري ص 180، تحقيق: محمد دبوس واحمد مهدلي وعفاف عمران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م.

(5) الحديث النبوي الشريف في كنز العمال، ج6، ص 701، برقم (17470) برواية (سافروا تصحوا وتغنموا).

وقالت الحكماءُ[1]: [السفر أحدّ أسباب المعاش التي بها قوامُه ونظامُهُ، لأنّ الله سبحانه وتعالى لم يجمع منافع الدنيا كلّها في أرض واحدة، بل فرّقها في الأرضين كلّها، وأحْوَجَ بعضها إلى بعضٍ، (ومن فَضْله أنّ صاحبه يرى من عجائب الأمصار، وبدائعِ الأقطارِ، ومحاسنِ الآثار، ما يزيده علماً بقدرة الله تعالى وحكمتِهِ، ويدعوه إلى شكر نعمته، ويسمع العجائبَ، ويكسبُ التجاربَ، والسفر يفتح المذاهبَ، ويجلبُ (3ب) المكاسبَ، ويشدّ الأبدان، وينشّط الكسلان)، ويسلّي الثكلان، ويطرد الأسقام، ويشهّي الطعام] ويحطّ سَوْرة الكبر، ويبعث على طلب الذِكر. ولولا السفَر لبطُلتْ التجاربُ والمكاسبُ، وانقطع الجلب والمنافع، ولما حصلت خصائصُ البلدانِ الشريفة، وما جُمعَت فوائدُ الأصقاعِ الغريبة، وما ضمّ الرّحُل في نشر الأمتعة البريّة والبحريّة[2]، [ولما عُرف عُودُ الهند، ومسكُ التّبتِ، وعنبرُ الشّحرِ، وكافُورُ قيصور، وماءُ وردِ فارسَ، وزعفرانُ قمّ، ولا استُمّتع ببرود اليَمن، وأرديةِ مصر، وخزوز السوس، وديباج الروم، وحرير الصين، وعمائم الابلّة، وتكك أرمينية، وجوارب قزوين، وسنجاب خرخير، وثعالب الجزر، وسمّور البلغار، وجلود نمور البربر، وأدم الطائف، ولما ذكر نصول الروسن، وقسيّ الشاش، ورماح الخط، وستور شهرزور، ولما اقترح تُفّاح الشام، ورُطب

(1) ما بين العضادتين أورده الثعالبي في كتابه المخطوط (أحاسن المحاسن) رسالة جامعية، تحقيق: د. ياسر النهداوي، ص 438، مطبوعة بالرونيو وقطعة منه في كتاب الحكم والأمثال لأبي أحمد العسكري، ص 181، حصرناها بين قوسين مع اختلافات قليلة.

(2) ما بين العضادتين من مواد ذكرها الثعالبي في بلدان العالم المختلفة، فصّل القول فيها في كتابه ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص 764-785، في باب (ما ينسب ويضاف إلى البلدان).

العراق، وسُكّر الأهواز، وعسل أصفهان، وقانيد ماسكان، ورُمّان الـري، وسفرجل نيسابور، وتين حلوان، وبطيخ أصفر خوارزم، وأجاص بست، وعُنّاب جرجان، وقشمش هرات، وكمّون كرمـان، وكرويـا بردعـة، ولمـا وصف إهليلج كابلي، وأفيتمون رومي، وسقمونيا أنطاكي، وسَـنا مكـيّ، وطين أرمني، وشيح تركي].

وقال ابن المعتز في فصوله القصار[1]:

(4أ) "أشقى من المسافر مَنْ قعد في اليأس".

وقلتُ في كتاب "المبهج": "مَنْ آثَرَ السَّفَرَ علـى القُعـودِ، أحْـرَ بِـه أنْ يَعْودَ مُورِقَ العُودِ"[2].

وقال بعض الأدباء لابنه: يا بنيَّ انقش في صدركَ وسويداء قلبكَ قول الشاعر[3]:

فَسِرْ في بلاد اللهِ والـتمسْ الغنـى ... تَعِـشْ ذا يـسارٍ أو تمـوت فتعـذرا

---

(1) الفصول القصار لابن المعتز، كتاب مفقود من كتبه جمع منـه الـدكتور يـونس الـسامرائي مـا استطاع الوقوف عليه ونشره في كتابه الموسوم بـ (من فـصول ابـن المعتـز ورسـائله)، بغـداد، 2002، وليس بينها النص المذكور.

(2) النص للثعالبي في كتابه الموسوم بـ (المبهج)، ص 93، تحقيق الأستاذ إبراهيم صالح، دمشق، 1999، وروايته: فاخرٍ.

(3) البيـت دون عـزو في كتـاب الحكـم والأمثـال للحـسن العـسكري ص 182، وفي اللطـائف والظرائف، ص 91 جاء بعده:

ولا ترضَ من عيش بدونٍ ولا تَنَمْ ... وكيف ينام الليلَ من كان معـسراً

ولا تنس قول حاتم الطائي وهو من الأمثال الصائرة عن الأبيات السائرة:

إذا لَزِم النـاسُ البيـوتَ وجـدتَهُمْ عماةً عنِ الأخبارِ خُرْقَ المكاسِبِ[1]

ولك أُسوةٌ في قول البحتري:

وإذا الزمـانُ كـساكَ حُلَّـة مُعْـدَمٍ فالْبَسْ لها حُلَـلَ النَّـوى وتَغَـرَّبِ[2]

وقدوة بمن قال:

ليس ارتحالُكَ في كَسْبِ الغنـى سَـفَراً بل المقامُ على فقـرٍ هـو الـسَفَرُ[3]

(1) البيت لحاتم الطائي في ديوانه، ص 30، ورواية صدره: إذا أُوطن القومُ، ص 7.

(2) البيت للبحتري في ديوانه، ج1، ص 79 من قصيدة مدح بها مالك بن طوق.

(3) البيت دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 91، وروايته: تزداد الغنى، "على بؤس".

[2]

الاغتراب والاضطراب لطلب الرزق والذِكر

من أحسن ما قيل في ذلك قول البرقعي[1]:

[رأيتُ المقام على الاقتصاد	قنوعاً به ذلّةُ في العباد][2]
إذا ما الأديبُ ارتضى بالخمولْ	فما الحظُ في الأدبِ المستفادِ
وعجز بذي أدبٍ أن يضيق	به رزقُه بينَ وُسع البلادِ
وما عَرُب الرزقُ عن طالبٍ	...........................[3]
إذا صارم قرَّ في غمده	حوى غيره الفضل يوم الجلاد
وفي الاغتراب وفي الاضطراب	منال المنى وبلوغ المراد
ولو يستوي بالقعود النهوض	لما ذكَرَ اللهُ فضلَ الجهادِ
إذا النارُ ضاقَ بها زَنْدُها	ففسحتُها في قِراع الزناد[4]

(4ب)

---

(1) هو علي بن محمد الورزنيني البرقعي صاحب الزنج، صاحب الثورة المعروفة. قتله الموثق العباسي بعد سنوات من الحروب، جمع شعره أحمد جاسم النجدي ونشره في المورد.

(2) البيت بين عضادتين استضفناه من مجموع شعره المنشور في المورد، المجلد الثالث، العدد الثالث، 1974، بغداد، تحقيق احمد جاسم النجدي.

(3) عجز البيت الثالث ساقط في الاصل المخطوط، وكتب الصدر في هامش النص.

(4) الأبيات 4، 5، 7، له في مجموع شعره المنشور في المورد مع اختلاف يسير، والبيتان الرابع والخامس لـه في اللطائف والظرائف، ص 92، ورواية الخامس: وفي الاضطراب وفي الاغتراب، والأبيات 1، 2، 3، أخلّ بها مجموعة الشعري والمفردات بها مجموعتنا.

وأحسن ما قيل في القناعة وذمّها قوله[1]:

رأتْ عَزَماتي وفرط انكماشـي وطُولَ التَّململِ فـوقَ الفِـراشِ
فقالــت: أراكَ أخــاً هِمَّــةٍ ســتبلُغُها فتُــرى ذا انتعِــاشِ
فَهــلاً أقمــتَ ولم تَغْتَــربْ فقلتُ: القناعـةُ طَبْـعُ المَواشـي

وأحسن ما قيل في الحثّ على الاغتراب قول القاضي أبـي الحسن علـي بن عبد العزيز الجرجاني[2]:

إذا ما ضِـقْتَ في أرْضٍ فَـدَعْها وحُثَّ اليعملاتِ علـى وجاهـا
ولا يَغْـرُرْك حَـظُّ أخيـك منهـا وقد خابتْ يمينُـك مـن جَـداها
ونفسكَ فُزْ بها إن خفتَ ضَيْماً وخلّ الـدار تحـزن مـن بكاهـا
فإنّــك واجــدٌ أرضــاً بــأرضٍ ولست بواجـد [نَفْـساً] سـواها

وقال بعض المهالبة لابنه: يا بـني، إنَّ القعـودَ عـن طلـب الـرزق وحسنَ الذكر من أخلاق العجائز، والبركاتُ في الحركاتِ، وقد نَصَحَ من قال:

خاطِر بنفسكَ كي تُصيبَ غنيمةً انّ الجلـوسَ مـع العيـالِ قبيـحُ

---

(1) الأبيات للبرقعي البصري الـورزنيني، في ريحانه الألبـاء للخفـاجي، ج2، ص 315، وروايـة صدر الأول، وطول انكماشي.

(2) الأبيات الأربعة أخلَّ بهـا ديوانـه صـنعة الأسـتاذ سمـيح إبـراهيم صـالح، دمشق، 2003، وديوانه صنعة عبد الرزاق حويزي، القاهرة، 2003.

وقال بعض الحكماء: "اهجر وطنك إذا نبَتْ عنه نفسك، وأوحش اهلك إن كان في وحشتهم أُنسُك"[1].

وقال بعضهم[2]:

أرى وطني كَعُشٍّ لي ولكنْ اسافرُ عنه في طلبِ المعاشِ
ولولا أنّ كسبَ القُوتِ فَرْضٌ لما برحَ الفراخُ من العشاشِ

وأحسن منه قول أبي فراس[3]: (5أ).

والمرء لي بكاسبٍ في أرضهِ كالصقر ليس بصائدٍ في وكرهِ

وقلتُ في كتاب المبهج: "إذا نبا بك بلدك فاستعر خافية الغراب في الاغتراب، وقادمة العُقاب في اقتحام العِقاب، فربّما أسفرَ السَفَرُ عن الظفر، وتعذّر في الوطن قضاءُ الوطر"[4].

---

(1) النص لبعض الحكماء في اللطائف والظرائف، ص 93.

(2) البيتان دون عزو في اليواقيت في بعض المواقيت في مدح الشيء وذمّه، تحقيق محمد جاسم الحديثي، ص 318، وهما للطريفي في اللطائف والظرائف، ص 92.

(3) البيت في ديوان أبي فراس الحمداني، ج2، ص 195، وروايته ليس ببالغٍ.

(4) المبهج للثعالبي، ص 93.

[3]

العزمُ على السَفَر وأخذ الأهبة له

كان يقال: السفر ثلاث غيبات: العزم، ثم أخذ الأهبة، ثم المسير، والعزمُ أصعبها.

وقلتُ: "إذا أزمعتَ على السفر، فَسَلْ الله تعالى تسهيل العسير وتيسير اليسير"[1].

ومن أحسن ما سمعتُ في هذا الباب نثراً قول الصاحب بن عباد:

"كتابي وأنا سائر العزيمة، ناهض النيَّة، ومسافر الهمِّ والعقيدة" وفصل للبديع الهمذاني: "أقام على حالةٍ لو قَصَرَ فيها الصلاة لجاز، فيوماً يعدّ الجهاز، ويوماً يلتمسُ الجواز".

وفصل لعلي بن القاسم القاشاني: "قد هجمتْ عليَّ دلائلُ النوى، وبعثت كامن الجوى، من رجالٍ تُرَمّ، وجمالٍ تُزَمّ".

وأجمع نَقَدَهُ الشعر على أنّ أحسنَ وأبلغ ما قيل في إجماع السفر والتأهُّب للمسير، قول الحارث بن حلّزة اليشكري[2]:

أجمعوا أمرهم عِشاءً فلمّا	أصبحوا أصبحتْ لهم ضوضاءُ
من مُنادٍ ومن مُجيبٍ ومن تَصْـ	ـهالِ خَيْلٍ خِلالَ ذاك رُغاءُ

---

(1) نسبه الثعالبي لنفسه ولم أجده في المبهج.

(2) البيتان للحارث بن حلّزة، في شرح القصائد التسع المشهورات للنحاس. من معلقة ص 562-563، ورواية الأول: أمرهم بليل.

ومن إحسان البحتري المشهور قوله لأبي نهشل يودّعُهُ[1]:
(5ب)

يا أبا نهشلٍ نداءَ مقيمٍ ظاعنٍ بين لوعةٍ ورسيسِ
فقدك المرءُ يا ابنَ عميَ أبكا ني لا فقدُ زينبٍ ولميسِ
ما تُراب العراق بالعنبر الور د ولا ماء دجلةٍ بمسُوسِ

المسوس: ماء الحيوان يحيى من مسَّه.

غير أني مُخلِّفُ منك في آ خر بغداد فضل عِلْقٍ نفيسِ
فسلامُ على جنابك والمنـ ـهلّ فيه وربعك المأنوس
حيث فعل الأيام ليس بمذمو مٍ ووَجْهُ الأيامِ غيرُ عبوس

واحتذى على تمثيله فجرى في طريقه السريّ [الرفّاء] الموصلي حيث قال[2]:

لَحظَتْ عَزْمَتي العراقَ فَسَلَّتْ هِمَّتي بالرحيل سيفَ اعتزامي
فسلامٌ على جَنابِكَ والمَنـ ـهَلِ والظِلِّ والأيادي الجِسامِ

(1) الأبيات للبحتري من قصيدة في ديوانه، ج2، ص 1141. رواية صدر الأول: وداح مقيم.
(2) الأبيات للسري الرفاء الموصلي من قصيدة في ديوانه، ج2، ص 694.

[4]

التفاؤل للمسافر والدعاء له

على الطائر الأسعد والجدّ الأرشد
الإقبالُ صاحبك وصُنعُ الله مُصاحبُك
النجح زميلك، والصنع نزيلك

في ظلّ الإقبال، وكنف ذي الجلال، على أيمن فالٍ، وأحمده، وأسنحِ طائرٍ وأسعده.

كان النبي ﷺ إذا ودّع مسافراً من أصحابه قال له: "زوّدك اللهُ التقوى، وأعانك على الهُدى، ويسَّر لك الخير حيث ما سرتَ، استودع الله دينكَ وأمانتك وخواتيم عملك"[1] (6أ).

وقال أبو العيناء يودّع بعض الوزراء: "استخلَفَ الله عليك واستخلِفُه منك"[2].

ابن عباد: "طوى اللهُ لك البعيد، ولقّاك العيشَ السعيد، وأصحَبكَ السلامة غائباً، والغنيمةَ آيباً".

وقال آخر: "وصلَ اللهُ لك حالَيْ السكونِ والحركة باليُمْنِ والبَرَكَة".

---

(1) دعاء الرسول ﷺ موزع في عدة أحاديث ضمّها (كَنْزُ العُمال) في الأرقام (17478، 17479، 17481) وقريب منه قول الرسول ﷺ لرجل: قال له أنه يريد سفراً، فقال له: في حفظ الله وكَنَفه، زودك الله التقوى، ووجّهك الله حيث كنت: الشوق والفراق، ص 49.

(2) النص في الشوق والفراق، ص 459، باختلاف يسير.

وقال آخر: "لا زال سيّدي في حَضِره صدرِ المحفَلِ، وفي سَفَره قلبُ الموكب.

وكتب أبو إسحاق الصابي: "طوى اللهُ لمولاي بساطَ الأرض حتى يدنو بَعيدُها، ويلين شديدُها، وتبين مُتونها، وتسهل حَزونها".

وكتب الوزير المهلّبي: "لا زلتَ في إقامة مُمَهّدة".

ولغيره:

لئن حالت الأسفارُ دونَ لقائِنا ... فنحن بعينِ الفكْرِ مُلتقيانِ

تُصَوَّر في قلبي لفرط صبابتي ... كأنك لي نَصْبٌ بكلُّ مكانِ

وقال ابن المعتز[1]:

إنّا على البعادِ والتفرُّقِ ... لَنَلْتَقي بالذِكر إنْ لم نَلْتَقِ

أبو الطيب المتنبي[2]:

أيدري الربعُ أيّ دَمٍ أراقا ... وأيّ قلوبِ هذا الركبِ شاقا

لنا ولأهْلِهِ أبداً قُلوبٌ ... تَلاقى في جُسومٍ ما تَلاقى

---

(1) البيت لابن المعتز في ديوانه، ج1، ص 487، من قصيدة مديح.

(2) البيتان للمتنبي في ديوانه، ص 289، من قصيدة.

[5]

الشوق على قرب العهد ويسير الفرقة

الصاحب بن عباد: "قد تحملتُ مع يسير الفرقة عظيمَ الحرقة، ومع قليل البعد (6ب) كبيرَ الوجدِ، حتى انثنيتُ بجسمٍ ناحل، وبتُّ من صبري على مراحل". "ما فارقتك بعيداً حتى أصحبتك من نفسي فريقاً، ولا سرتُ ميلاً حتى مال صبري جميعاً".

ويقال: إن اغزل بيت قاله ملك، قول يزيد بن معاوية[1]:

إذا سِرْتُ ميلاً أو بَغَيْتُ حمامة   دعتني دواعي الحبّ من أمّ خالد[2]

ولبعض العرب وهو ممّا يُتمثّل به كثيراً:

أشَوْقاً ولمّا تَمْضِ لي غيرُ ليلةٍ   فكيف إذا سار المطيُّ بنا عشرا

---

(1) يزيد بن معاوية: ثاني الملوك والأمويين، في أيامه كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61هـ وفي سنة 63هـ استباح المدينة المنورة ثلاثة أيام وقتل فيها كثيراً من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين توفي بحوارين من أرض حمص، كان ميالاً إلى اللهو، وله ديوان مطبوع، واليه ينسب نهر في دمشق، الأعلام: 9/ 244-245.

(2) البيت ليزيد في ديوانه، ص 39، نشره د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت، 1998، ورواية الصدر: أو تخلفت ساعة.

[6]

سائر الأحاسن في الشوق

فُصول البلغاء العصريين: "الشوقُ إليك سمير ذكري، ونِجَيٌّ فكري، وزادي في سفري، وعتادي في حضري".

"شوقُ جرح جوانحي وجنح على جوارحي".

"شوقُي براني بري الخلال ومحقني محق الهلال".

أنا اشتاقك اشتياق الروض الماحل إلى الغيث الهاطل".

لشاعر:

أنّي وإن طال وصفي غيرُ بالغ ما	يحلّ بي يا أخي من شدة الشوقِ
أنّ الفراق له كأسٌ مرارتها	تحكي مرارة كأس الموتَ في الذوقِ

وللقاضي عبد العزيز الجرجاني[1]:

فديتُكَ ما شوقي كشوقٍ عَرَفْتُهُ	ولا ذا الهوى من جِنْس ما كنت أعهدُ
(7أ) فلا ينكر التخليد في النار عاقلٌ	فأنّي في نارِ الغرامِ مُخَلَّدُ

ومن [ال] شعر الخفيف الروح:

لعمرك ما عيشةُ عَذْبةُ	عليَّ إذا غبتَ بالراضِيَهْ
وأنّي إلى وجهك المستنير	ر في ظلمة الليلة الداجية
لأشْوَقُ من مُدنفٍ خائفٍ	لقاءَ الحِمام إلى العافية

---

(1) البيتان لعبد العزيز الجرجاني في ديوانه، ص 65، صنعة سميح إبراهيم صالح.

[7]

ذم الفراق

كان يقال: "ما خُلق الفراق إلاّ لتعذيب العشاق"[1].

وقال بعضهم: "فراق الأحباب سقام الألباب"[2].

وقال آخر: "حق الفراق أن تطير له القلوب، وتطيش معه العقول، وتطيح منه النفوس"[3].

وقال آخر: "فراق الحبيب يُشيب الوليد، ويذيب الحديد"[4].

وقال آخر: "هول السياق أهون من الفراق"[5].

وقال النظّام: "لو كانت للفراق صورة لراعَتْ القلوب وهدّت الجبال، ولجمر الغضا أقلّ توهّجاً من ناره، ولو عذّب اللهُ أهل النار بالفراق لاستراحوا إلى ما قبله من العذاب"[6].

وقال الشاعر[7]:

لو كان مالكُ عالماً بجوى الهوى ... وفعالهِ بأضالعِ العُشّاقِ

ما عَذّب الكفار إلاّ بالهوى ... فإذا استغاثوا غاثهم بفراقِ

---

(1) النص دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 94.

(2) النص دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 94.

(3) النص دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 94.

(4) النص دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 94.

(5) النص دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 94.

(6) النص للنظّام في اللطائف والظرائف، ص 94، وروايته: أهون توهجاً.

(7) البيتان دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 94، وروايته: لو أنّ مالك عالم بجدى الهوى.

وقال أبو تمام[1]: (7ب)

يَوْمَ الفراقِ لقد خُلِقْتَ طويلا ... لم تُبْقِ لي جَلَداً ولا مَعْقُولا
لو جارَ مرتادُ المنيّةِ لم يجد ... غير الفراق إلى النفوسِ دليلا
أتظُنُّني أجِدُ السبيلَ إلى العَزا ... وَجَدَ الحِمامُ إذاً إليَّ سبيلا

وقال المتنبي[2]:

لولا مُفَارقَةُ الأحبابِ ما وجدتْ ... لها المنايا إلى أرواحِنا سُبُلا

وقال أحمد بن إبراهيم الضبي[3]:

لا تركَنَنَّ إلى الفراق ... ق فإنّهُ مُرّ المذاقِ
والشمسُ عندَ مغيبها ... تَصفَرُّ من ألَمِ الفراقِ

---

(1) الأبيات لأبي تمام في ديوانه، ج3، ص 66، من قصيدة مدح بها نوح بن عمرو، ورواية الثاني:

لو حار مرتدا المنية لم يَرِدْ ... إلاّ الفراق على النفوس دليلا

(2) البيت للمتنبي في ديوانه، ص 17.

(3) البيتان لأحمد بن إبراهيم الضّبي في كتاب الحكم والأمثال، ص 696، وله أيضاً في يتيمة الدهر، 3/ 334، وفي اللطائف والظرائف، ص 94، وحرف فيه الضّبي إلى الضبعي، ورواية صدر الثاني في كتاب الحكم: والشمس عند غروبها، وأحمد بن إبراهيم الضّبي (ت 398هـ)، وزير فخر الدولة البويهي له شعر، لُقّب بالكافي الأوحد، مات في بروجرد معتزلاً الوزارة، ودفن في كربلاء، الأعلام: 1/ 83.

[8]

مدح الفراق

قال بعض السلف الظرفاء[1]: "في الفراق مصافحة التسليم، ورجاء الأوبة، والسلامة من الملال، وعمارة القلب بالشوق، والأنس بالمكاتبة".

وقال أبو تمام[2]:

أَأَلِفَةَ النَّجيب كم افتراقٍ	أظلَّ فكان داعيةَ اجتماعِ
وليستْ فَرْحَةُ الأوبات إلاّ	لموقوفٍ على برج الوداعِ

وكتب بعض الكتّاب[3]: "جزى اللهُ الفراقَ خيراً، فإنّما هو زمرة وعبرة، ثم اعتصام وتوكل، ثم تأميل وتوقع، وقبَّح اللهُ التلاقي فإنّما هو مَسرّة لحظة، ومساءة أيّام، وابتهاج ساعةٍ، واكتئاب زمان".

وكتب آخر[4]: "أنّي لأكره الاجتماع ولا أكره الافتراق، لأنّ مع الاجتماع محاذرة الافتراق، وقصور السرور [ولأن] مع الفراق (18أ) غمّة يخفّفها توقع إسعاف النوى، وتأميل الأوبة والرجعى".

---

(1) النص دون عزو في اللطائف ص 92.

(2) البيتان لأبي تمام في ديوانه، ج2، ص 336، ورواية عجز الثاني: على ترح.

(3) النص دون عزو في كتاب الحكم والأمثال للماوردي ص 195 مع اختلاف، ونسب النص لأبي عبدالله الزنجي في تحسين القبيح وتقبيح الحسن، ص 44.

(4) نسب النص لأحمد بن سعد في تحسين القبيح، ص 44.

وقال بعضهم[1]:

ليس عندي شحط النوى فيه غَمٌّ	بل لنا فيه كشف كُلِّ الهمومِ
من يكن يكره الفراق فإني	أشتهيه لموضعِ التسليمِ
أنّ فيه اعتناقةً لوداعٍ	وانتظار اعتناقةٍ لقدوم

وقال بعض الصوفية[2]: لو قلتُ إني لم أجد للرحيل ألماً وللبين حُرقةً لقلتُ حقاً، لأنّي نلتُ من اللقاء أنسَ العناق ما كان معدوماً أيام الاجتماع.

وممّا يليقُ بهذا المعنى في هذا الباب قول البحتري[3]:

واحْسِنْ بنا والدمعُ بالدمعِ واشِجٌ	يمازجُه، الخَدُّ بالخَدِّ مُلْصَقُ
وقد ضَمَّنا وَشْكُ التَلاقي ولَفَّنا	عناقٌ على أعناقِنا ثمَّ ضَيِّقُ
فلم تَرَ إلاّ مُخبِراً عن صَبابَةٍ	بشَكْوى، وإلاّ عبرةً تَتَرَقْرقُ
ومنْ قُبَلٍ قَبلَ التَّشاكي وبَعْدَهُ	تَكادُ بها من شِدَّةِ اللثمِ تَشْرَقُ
فَلَوْ فَهِمَ الناسُ التَلاقي وحُسْنَهُ	لَحُبِّبَ من اجْلِ التَّلاقي التَّفَرُّقُ

---

(1) في تحسين القبيح نسب الشعر لمحمد بن ابي محمد اليزيدي، ص 44، ورواية عجز البيت الثاني: للذّة التسليم.

(2) النص دون عزو في الطائف والظرائف، ص 932، وفي تحسين القبيح، 44، وروايته ايام التلاق.

(3) المقطعة للبحتري في يوانه، 3/ 535، يمدح المعتز بالله، رواية العجز الرابع: من شدة الوجد ورواية الأولى فاحسن..... تمازجه، ص 19

وقال آخر[1]:

آه مـــن حَـــرِّ دمعـــةِ العُـــشّاق ... مـا ألـذَّ البكـاء عنـد الفـراقِ

لـذةُ الـدمعِ عنـد بَـيْنِ حَبيـبٍ ... كاعتناق الحبيـب عنـد التلاقـي

---

(1) البيتان دون عزو في الحكم والامثال، 195-196، ورواية العجز الأول، ما ألذّ البكاء وقت الفراق، وفي اللطائف، ص 94.

[9]

التزام اللوم عند الفراق

من أحسن ما قيل في ذلك قول بشار[1]: (8ب)

تطوي المنازلَ عن حبيبك دائباً وتظـلّ تبكيـه بـدمعٍ سـاجمِ
هَلاّ أقَمْتَ ولو على جَمْرِ الغضا قُلِّبْتَ أو حَدّ الحُسامِ الصارمِ

وقال آخر:

أرَحَلُ طوع النفس عمّن تحبّه وتبكي كما يبكي المفارقُ عن قَهْرِ
أقِمْ لا تُسر والهمُّ عنك بمعزلٍ ودمعُك باقٍ في جفونك لا يذري

وأملح منه قول اليزيدي[2]:

ما مسيري ومن أحبُّ مقيمُ خَطرٌ والآله عندي عظيمُ
أنا مُستَيْقِنٌ بأنّ مَسيري ومقام الحبيب لا يستقيم

---

(1) أخلّ بهما دواوينه وشرح المختار من شعر بشار للخالديين.

(2) أخلّ بهما ديوان اليزيديين، تحقيق محسن غياض.



[10]
ذم السفر

في الحديث المرفوع: "إنّ المسافرَ ومتاعه على قَلَتٍ إلاّ ما وقى الله"[1].

(على قلت) : أي على هلاك.

وقيل لبعض الحكماء[2]: "إن السفر قِطْعَةٌ من العذاب"، فقال: بل العذاب كُلّه قطعة من السفر، ونَظَمهُ من قال:

كُلّ العذاب قطعة من السَفَرْ   يا ربّ فارددني إلى ريف الحَضَرْ[3]

وكان الحجّاج يقول[4]: "لولا فرحَة الإيابِ لما عذّبْتُ أعدائي إلاّ بالسفر".

وقال بعض الحكماء[5]: "السقم والسفر والقتال أثلاث متقاربة، السفرُ سفينة الأذى، والسقَمُ حَريقُ الجسد، والقِتالُ (9أ) منبتُ المنايا".

وقال آخر[6]: "السفرُ مُتعبٌ مكرب، والحديث يقصّره، ويسلّي كربه".

وقلت في كتاب المبهج[7]: "رُبَّ سَفَرٍ كَتَصْحِيفةِ" يعني سقر.

---

(1) الحديث النبوي الشريف في اللطائف والظرائف، ص 91. وهو كذلك في التمثيل والمحاضرة، ص 401

(2) النص دون عزو في الحكم والأمثال 182.

(3) البيت دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 91. وهو أيضاً دون عزو في الحكم والأمثال للعسكري، ص 182. وهو أيضاً في التمثيل والمحاضرة، ص 401.

(4) النص للحجّاج في اللطائف، ص 91.

(5) النص دون عزو في: الحكم والامثال، ص 182، وفي اللطائف والظرائف، ص 91، والتمثيل والمحاضرة، ص 401.

(6) النص في اللطائف والظرائف، ص 91، وفي الحكم والأمثال، ص 183.

(7) النص للثعالبي في المبهج، ص 93.

[11]

أدب السفر

أبو صالح عن أبي هريرة، قال: كان أحبُّ الأيام إلى رسول اللهﷺ أن يسافر فيه يوم الجمعة، لقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[1].

وقال بعضهم: الانتشار في الأرض يوم السبت غير نافع.

عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً صلّى في بيته ركعتين قبل أن يخرج، ثم إذا ركب كبّر ثلاثاً، ثم قال: ﴿ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ[2] ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾[3]، ثم قال: "اللهمّ إني أسألك البرّ والتقوى ومن العمل ما تحبُّ وترضى"[4]، "اللهمّ هوِّن علينا السفر وأطْوِ لنا بُعد الأرض"[5]، "اللهمّ إنّي أسألك الصحبة في السفر، والخلافة في الأهل والمال والولد"[6].

وعنه ﷺ أنه كان يقول[7]: "اللهمّ إنّي أعوذ بكَ من وعثاءِ السفرِ، وكآبةِ المنقلب، والحَور بعد الكدرْ، وسوءِ المنظر في الأهل والمال".

---

(1) الآية رقم 10 سورة الجمعة رقم 62 م.

(2) الآية 13 ك سورة الزخرف، 43.

(3) الآية 14 ك سورة الزخرف، 43.

(4) جزء من حديث ورد في كتاب المناسك من صحيح مسلم.

(5) منه الحديث رقم (17545) كنز العمال.

(6) في كتاب الترمذي والنسائي وكتاب ابن ماجه بالأسانيد الصحيحة أن النبي ﷺ قال: "اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل". ينظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار لأبي زكريا النووي، ص 198.

(7) ينظر الحديث رقم (17536) كنز العمال وهو في كتاب المناسك من صحيح مسلم.

ومن دعائه ﷺ إذا دخل قرية: "اللهُمّ ربّ السموات وما أظْلَلْنَ، وربّ الأرضين وما أقْلَلْنَ، نسألك خيرَ هذه القرية (9ب) وخيرَ أهلها، ونعُوذ بك من شرِّها وشرِّ أهلها"[1].

ويُروى أنّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: "يا رسول اللهّ إنّي أريد سفراً فأوصيني. قال له: "أُوصيك بتقوى الله والتكبير عند كل شَرَف"[2].

وعنه ﷺ أنه إذا نزل منزلاً كان يقول: "اللهُمَ أنزلنا منزلاً مُباركاً وأنت خيرَ المُنزلين، ثم يقول: أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق وذرأ وبرأ"[3].

وكان النبي ﷺ يكره السفر في المحاق.

وعن بعض السلف: لا تسافروا والقمر في العقرب.

وقال المرادي للأمير نوح بن نصر[4]:

قل لأمير الشرق وانصَحْ له ... وما على الناصح من معتبِ
لا تخرج الاثنينَ في وجُهةٍ ... والقمرُ الناقصُ في العقربِ

---

(1) وجاء في الرحيق المختوم نقلاً عن سنن النسائي: أن النبي ﷺ إذا رأى قرية لم يرها وأراد دخولها قال: "اللهم ربّ السموات السبع وما أظللت والارضين السبع وما اقللن، وربّ الشياطين وما أظللن ورب الرياح وما ذرين، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشرّ أهلها وشر ما فيها.

(2) ورد في كتاب (الرحيق المختوم) لصفيّ الرحمن المباركفوري، ص 200، ما نصّه: "ورد في كتاب الترمذي أن الرسول ﷺ قال موصياً احدهم: "عليك بتقوى الله تعالى، والتكبير عند كل شرف".

(3) الحديث الشريف في الترمذي برقم (3437)، كتاب الدعوات.

(4) هو أبو الحسين محمد بن محمد المرادي شاعر بُخارى، وممدوحه الأمير نوح بن نصر بن احمد أمير بخارى، له شعر في اليتيمة، 4/ 74-76.

وفي الخبر[1]: "راكبُ الفلاة وحده شيطان، والاثنان شيطانان، والثلاثة سفرٌ، والأربعة صُحْبة، والخمسة رفقة.

يقال: الطلاقة في السفر من أخلاق الكرام، وكذلك قال [شاعرٌ] في المهلب[2]:

تزيده الحربُ والأهوال إنْ حضرتْ عَزْماً وحَزْماً ويَجْلُو وجهه السَفَرُ

وأنشد للعطوي[3]:

أكرم رفيقك حتى ينقضي السفرُ أن الذي أنت مولاه سيتشرُ
ولا تكنْ كلئامٍ أظهروا ضَجَراً أنّ اللئام إذا ما سافروا ضجروا

(10أ)

وقال نصر بن سيّار لرجل من أصحابه أراد سفراً[4]: "إياك أن تسيرَ شبراً في الأرض وأنت حافٍ لاسيّما في الليل، وإياك أن تبوّل في نفق من الأرض، وإياك أن تأكل شيئاً حتى تذوقه وتعرفه، وإياك أن

---

(1) ورد الخبر في كنز العمال، 6/ 710، بالصيغة التالية: الراكب شيطان والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب.

(2) في الأصل المخطوط (قال المعتز في المهلب) وهو كلام لا يستقيم تاريخياً، فابدلنا كلمة (المعتز) بلفظة (شاعر)، والمهلب هو القائد العربي الشهير: المهلب بن أبي صفرة الأزدي.

(3) البيتان للعطوي في مجموع شعره، صنعة: د. محمد جبار المعيبد رحمه الله، مجلة المورد، العدد (1-2) المجلد الأول، 1971، رواية عجز الأول في ديوانه: أنت موليه.

(4) ينظر الخبر في كنز العمال، 17557. ونصر أمير كان شيخ مضر في خراسان وولي بلخ وخراسان، غزا ما وراء النهر وغنم مغانم كثيرة وأقام بمرو ومات بساوة، كان خطيباً وشاعراً وله ديوان مطبوع، الأعلام: 8/ 341.

تستصحب من لا تعرفه أو تسترسل إلى من تنكره، وإيـاك أن تنفـرد عـن الرفقة وإن تسير بلا سلاح ولو عصا، وإياك أن تبخل في سَـفْرتك ببـسط سُفرتك".

وقال بعض الحكماء[1]: لا ترافقنّ في السفر أكثر نـشباً منـك، إن ساوَيْتَهُ في النفقة أضرَّ بك، وإن تفضَّل عليكَ استذللت به.

(1) لم أظفر بتخريجه.

[12]

أمثال السفر

الرفيق ثم الطريق[1].

البركة في الحركة[2].

أوغلوا برفقٍ فانّ المُنْبَتّ لا أرْضاً قطعَ ولا ظهراً أبْقى[3].

شرّ السير الحقحقة[4].

السالم سريع.

طول السفر ملاكة وكثرة المنى ضلالة.

الفرقة حرقة والغربة كربة والنقلة مثلة[5].

لئن تمشي وتدومْ خير منان تعدو وتقومْ.

بطيب عِشرة الرفيق تخفّ مشقّة الطريق.

الصحبة في السفر قرابة.

سافروا بالجمال البذل فان نقلت وإلا دلّت على السُبُل.

من سار مار ومن جال نال.

---

(1) المثل في مجمع الأمثال للميداني برقم 1609.

(2) المثل في (أمثال الخوارزمي)، ص 37، وروايته: الحركة بركة.

(3) المثل في (المستقصى)، ج1، ص 410، وروايته: ان المُنبَتّ لا ارضاً قطع ولا ظهراً أبقى قيل قاله النبي صلى الله في ذمّ الغلوّ.

(4) المثل في (المستقصى)، ج2، ص 129، والحقحقة: هي إسراع السير وعسفه، يضرب في ذم الإفراط وفي مخطوطتنا (القحقحة: وهي تردد الصوت في الحلق، ويقال لضحك القرد القحقحة، وهي عندما محرفة والصواب: الحقحقة لأنها نوع من السير.

(5) المثل في (كتاب التمثيل والمحاضرة)، ص 401، بالصيغة التالية: الغربة كربة، والقلة ذلة، والنُقلة مثلة.

من يثقل ينقل، ومن سعى رعى، ومن نام لزم الأحلام.

السفر ميزان القوم[1].

إنما سُمّي السفر سفراً لأنّه يسفرُ عن أخلاق النـاس، وفي كتـاب (10ب) المبهج: "لا تكوننَّ صرورة إلاّ عن ضرورة"[2].

وفيه: "طُوبى لمن كانت له حجة في كلّ حجّة"[3].

(1) المثل في كتاب الميداني برقم 1851.

(2) الصرورة: من لم يحجّ قط، وقيل: من لم يتزوج ولم يأتِ النساء.

(3) لم اظفر به في المبهج.

[13]

أبيات التَمَثُّل والمحاضرات في السفر وما يتعلّق به

تمثلّ عبد الملك بن مروان ببيت الآخر:

أفي الطوف خفتِ عليَّ الردى ... وكم من رَدٍ أهْلَه لم يُرم

وتمثّل المنصور في سفرٍ بهذا البيت:

لعَمركُ ما يدري المسافرُ هل له ... يلاعٌ وما يدري متى هو راجعُ

أراد الحطيئة سفراً، فلمّا أراد الركوبَ قالت له امرأته: متى الرجوع؟ فأنشأ يقول:

عُدّي السنين وإذا ارتحلتُ لرِجَعْتَي ... وذرِي الشهورَ فأنّهُنَّ قصارُ

فقالت على البديهة:

أذكرْ صبابَتَنا إليكَ وشَوْقَنا ... واذكر بناتكَ إنّهُنَّ صِغارُ

فحطَّ رَحْلَهَ ولم يخرج[1].

وتمثّل الزبيرُ بن بكار بهذا البيت وقد عزم على السفر:

---

[1] الخبر لأعرابي في كتاب الحكم والأمثال للحسن بن عبدالله العسكري، ص 79-80، ورواية صدر الأول: لغيبتي وتضرعي ورواية رد زوجته: اذكر صباحتنا، وارحم بناتك.

يُقيم الرجالُ المكثرون بأرضهم   وترمي النَّوى بالمُقْترين المواميا

وكان أبو نواس ينشد قوله وهو بمصر[1]:

إذا ذُكِرتْ بغداد لي فكأنَّما   تحرَّكَ في قَلبي شَباةُ سِنانِ
وأوبةَ مُشتاقٍ بغير دَراهمٍ   إلى أهلِه، من أعظَمِ الحَدَثانِ

لَمّا خطبَ السفّاح الناسَ أوّل خطبة سقط القضيبُ من يده، فتطيَّر فيه، فأخذه رجل ومسَحه بكمِّه وناولَهُ إيّاه، وتمثّل بقول الشاعر[2]:
(11أ)

فألقتْ عَصاها واستقرّتْ بها النَّوى   كما قَرَّ عَيْناً بالإياب المسافرُ

فسُري عنه وسُرّ به. ولمّا نزل أمَر له بألفِ دينار.
وكان ابن عائشة القرشي يُنشد في أسفاره[3]:

إذا أنت رافقتَ الرجال فكُنْ فتىً   كأنك مملوك لكلّ رفيقِ
وكنْ مثلَ طعم الماءِ عَذْباً وبارداً   على الكبد الحرّى لكلَ صديقِ

---

(1) لم أظفر ببيتي أبي نواس في طبعتي ديوانه: طبعة الغزالي بمصر وصنعة بهجت الحديثي ببغداد.
(2) لم اقف عليه.
(3) ابن عائشة القرشي (ت 228هـ) عبدالله بن محمد بن حفص بن معمر التيمي عالم بالحديث والسير أديب من أهل البصرة، حدث ببغداد سنة 219هـ عُرف بابن عائشة لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبدالله التيمي، الأعلام: 4/ 353.

وأنشد أبو الحسن الحسيني الهمداني الوصي رحمه الله يوم رحيله من نيسابور إلى بخارى للعباس بن الأحنف[1]:

أقمنا مُكْرَهِينَ بها فلمّا | أَلِفْناها خرجنا كارهينا
وما حُبّ البلاد بنا ولكن | أمرُّ العيشَ فُرقةُ من هَوِينا

وأنشد أبو بكر الخوارزمي:

تقولُ سُليمى لو أقمتَ تسُرُّنا | ولم تدر أني للمقام أطوفُ[2]

وأنشد أيضاً:

وكُنّا في اجتماع كالثريّا | فصرنا فرقةً كبنات نَعْشِ[3]

وأنشد ابن أبي عون الكاتب:

رمى الفقرُ بالفتيانِ حتى كأنّهُمْ | بأطراف آفاقِ البلاد نجوم[4]

---

(1) البيتان للعباس بن الأحنف في ديوانه، ص 280-281، رواية عجز الأول: مكرهينا، ورواية صدر الثاني: وما شغف البلاد.

(2) البيت دون عزو في الحكم والأمثال، ص 183، ولم ينسبه الخوارزمي لنفسه وإنما أنشده.

(3) لم ينسبه الخوارزمي لنفسه ويخالجني شكٌ في نسبته إليه.

(4) البيت دون عزو في كتاب تشبيهات ابن أبي عون، ص 337.

وأنشد أبو الفتح البُستي لنفسه[1]:

لـــئن تنقلـــتُ مـــن دارٍ إلى دارِ ... وصـــرتُ بعـــد ثـــواءٍ رهْـــنَ أسْـــفارِ

(11ب)

فالحرُّ حُرٌّ عزيز النفس حيث ثوى ... والـــشمسُ في كُـــلِّ بـــرجٍ ذاتُ أنـــوارِ

وأنشد أيضاً لنفسه[2]:

بـــأبي إخـــوة تَرَحَّلْـــتُ عَـــنْهُمْ ... فَتَرحَّلْتُ عن سُروري وأنـسي

فـــارقوني فـــأرَّقوني وأذكـــوا ... شُعَلَ الوجدِ في خـواطرِ نفـسي

وأنشدني في هذه الصفة[3]:

ســـهرتُ حتـــى كـــأنّ عـــيني ... قـــد وُهِبَـــتْ لـــي بـــلا جُفـــونِ

مـــا ذاك إلاّ لبُعـــــد قـــومٍ ... هـــم فـــارقوني فـــأرّقُوني

---

(1) البيت للبستي في ديوانه الكامل، ص 164.

(2) البيت للبستي في ديوانه الكامل، ص 204. ورواية عجز الأول: عـن سـرور وأنـسٍ ورواية صدر الثاني: فاذكوا.

(3) البيتان في ديوان البستي الكامـل، ص 354. روايـة الأول: أرقـت حتـى حسبت عـيني قـد خلقت ورواية صدر الثاني: وسامني البُعد عن اناسٍ.

[14]

تدبير المسافر

قالت الأطباء: ينبغي لمن عزم على السفر أن يقدم على مسيره الفَصْدَ والإسهال، لاسيّما إذا كان بعيد العهد بهما، فإنّ مَنْ سافر وبدنُهُ غير نفيّ، لم يكد يتخلّص من الحُميّات، وإنْ تخلّص منها في حالة لتحلل بدنه وسخافة جلده لم يتخلّص من الخراجات، والبثور، وصنوف الأورام، وسائر الأعراض. وينبغي أن يتجرد إلى نقل عادته التي يلجأ إلى تغييرها في سفره من غذاءٍ ونوم، وإن كان يحتاج في سفره إلى السُّرى أخذ نفسه قبل ذلك باعتبار السهر قليلاً قليلاً. وينبغي أن ينقل وقت الغذاء الذي اعتاده إلى الوقت الذي يعلم أن تكون فيه راحته في أيام سفره، ويأخذ نفسه بالتصبّر على التمتع (12أ)، ويجتنب الأغذية التي لم يعهد أكلها ببلده، ولا يأكل منها البتة، وليجعل غذاءه طعاماً جيّد الغذاء قليل الكمية، ولا يأكل إلاّ أن ينزل ويستريح، وإن كان فلا بُدّ، فليقلّل ولا يأكل أكلاً تاماً، ولا يستوفينّ الغذاء إلاّ بعد نزوله، ولينحرف عن البقول والفواكه فأنّها تملأ بطنه من غير كثير غذاء، وتولّد فيه أخلاطاً نيّة وَرَدِيَّة، اللهُمّ إلاّ أن يحتاج إليها في زمانٍ حارٍ، فيتناولها على الشريطة التي يجيء وصفُها، وإن كانت الحركة بالليل فلا ينبغي أن يتعشىّ، يؤخر الاستيفاء للغذاء أبداً إلى الوقت الذي تطول فيه الراحة، وليحذر التجشم والسير والحركة على امتلاء من البطن فإنّ ذلك يولّد أوراماً وخراجات، وليستحمّ إذا قدر عليه.

[15]

دفعُ ضَرر المياه ورداءتها

أجمعت الأطباءُ على أنّه ينبغي للمسافر أن يتزوّد من طين بلدتـه، فيلقي منه في المياه المختلفة التي يضطرّ إلى شربها ويتركها حتى تـصفو ثـم يشربها، وأن يمزج ماء كل منـزل بمـاء المنـزل الـذي قبلـه، وأن ينـال مـن البصل والخس والخلّ. وأمّا الماء الكدر الغليظ، فينبغي أن يُصفّى بتحويله مراراً من إناءٍ إلى إناءٍ أو يروّق براووق ملطّخٍ بكعكٍ مبلول، وممّـا يُـصفّي الماء الكدر أن يُغلى غليات ثم يبرد، وممّا (12ب) يصفّيه أيـضاً أن يطـرح فيه شيءُ يسير من الشبّ اليماني المسحوق. وأمّـا المـاء المـالح فليـشرب بالخلّ أو يلقى فيه قليـل خـرّوبٍ[1] أو يمـزج بمـاء الـسفرجل فإنـه يـدفع ضرره. وأمّا الذي فيه مرارة فليشرب بجلاّب وتؤكل عليه الأشياء الحلوة، وأمّا الماء الزُعاق فليجعل في قدرٍ نظيفـة ويجعـل فوقهـا عيـدان معترضـة ويطرح فيها جزز صوف منفوش نقي، ويجعل علـى جمـر يـشعل ويعـصر ذلك الصوف وتبرّد العصارة وتصفّى.

وأمّا الماء الذي فيه عفونـة فليمـزج بربـوب[2] الفواكـه القابـضة كرُبّ الحصرم والرمان والتفاح، وليهجر الأغذيـة الرديئـة الحـارة مـا دام الشرب منه. وأما الماء الذي يغثي فليشرب مع ربّ الرمان وسكنجبين[3].

---

(1) الخَرُّوب: شجر معروف، الواحدة خَروبة. المنجد، ص 168.

(2) رُبوب: المُرَبَّيات المعمولات بالرُبّ. ينظر المنجد، ص 243. والرُبّ ما يخثر من عصير الثمـار والجمع ربوب.

(3) سكنجبين: شراب مركب من حامض وحلو معربة تكملة المعاجم العربيـة، دوزي، ج6، ص 109.

وأمّا الذي فيه حشائش لها رداءة وحدّة، فينبغي أن يُصفّى ولا يشرب إلاّ بفدام[1] ولاسيّما إذا كان فيه عَلَق.

وأمّا الذي يُطْلق البطنَ فليتعهد معه الأغذية القابضة للبطن وبالضدّ.

(1) فِدام: ما يوضع على الفم سداداً له، وما يُشدّ على فم الابريق ونحوه لتصفية ما فيه، وخرقة تشدّها الأعاجم على أفواهها عند السَقي. تكملة معاجم العربية، ج8، ص 28.

[16]

الاحتراس من الحرِّ وتلافي ضرره بالمسافر.

من سافر في حرٍّ شديد فينبغي أن لا يكون ممتلئاً من الطعـام، ولا مخموراً ولا شارباً من الـشراب، ولا ينبغـي أن يكـون خاويـاً خاليـاً مـن الطعام والشراب البتّة، اللهُمّ إلاّ أن يكون متخماً.

والأجود له أن لا يسير إذا كان كذلك، وإن يسكن ويطيل النـوم (13أ) حتى يخفّ ما به فأمّا إن لم يكن متخماً بل يشتهي الطعام ولو أدنى شهوة، فليأكل أكلاً معتدلاً إلى القلّة ما هو من أغذية باردة مطفئةٍ مُـسَكِّنة للعطش كالقريض[1] والهلام[2] وماء الحصرم وخلّ الزبيـب ونحوهـا مـن البوارد.

وإن كان لا يشتهي الطعام أو يجد فضل حرارة وعطش فليشرب من سويق بسكّر وماء بارد ثم لا يسيرنَّ ساعة يفرغ من ذلك، بل يتوقـف قليلاً وخاصـة إن شـرب مـن المـاء فـضلاً، لأنّـه إن تحرّك علـى المكـان تخضخض الطعامُ في معدته ونفخه وساءَ هضمه، وإن لم يجد من ذلك بـدّاً فليشرب قليلاً قليلاً، ولا يعنّف في الحركة مديدة ما، وليوقِّ أعضاءه كلّها والرأس خاصة من الشمس، والعادة في هذا الباب خطر عظيم وذلـك أنّ الأبدان المعتادة للحرّ والبرد والتعب أقوى وأصـبر عليهـا وهـيّن عليهـا، وأقلّ نكاية منها في التي لم تعتد ذلك، فإذا قطع مسيره، فليسترح هنيهة ثم يغتسل بماءٍ عذب لا باردٍ بل فاتر ثم يأكل مـن الفواكـه والأغذيـة المـبردة

---

(1) القريض: طعام مطبوخ فيه مواد حامضية، التخريج: التكملة: دوزي، ج8، ص 227.

(2) الهلام: لحم مطبوخ في إناءٍ مُغَطّى: تكملة المعاجم العربية، ج11، ص 53.

المرطبة، ولينم في موضع ريح وليتجنب الباه[1]. وإن وجد صداعاً عالجه بماء ورد، ودهن ورد، وخل خمر، وزاد في الاغتسال وجعل ميل أغذيته إلى البرودة والرطوبة أكثر، ويتنشّق دهن البنفسج ودهن القَرَع ودهن الخلاف[2]، وليكن سيره أسكن، وتوقّيه للشمس أكثر واحتراسه (13ب) منها أشد وأبلغ، وليأخذ قبل مسيره من الأشياء القوية التطفية كسويق الشعير، والماء البارد، أو لعاب بذور قطونا[3]، أو الجلابّ أو ماء الشعير ويغتذى عنه نزوله بالفواكه المبردة والألبان أن لم يكن حدثت حمّى.

(1) الباه: في تكملة المعاجم العربية لدوزي، 1/ 234، الباه: جمع باهة لغة في باحة وهي عرصة الدار.

(2) دهن الخلاف: الخلاف: صنف من الصفصاف.

(3) بزر قطونا: نبات يسمى ثمرة وحمله بزرقطونا سيما جاء في المعجم المنصوري، ص 33. ينظر تكملة المعاجم العربية: دوزي، 1/ 326.

[17]

الاحتراس من السموم وعلاج ما يحدث من نكايته

من اضطرّ إلى المسير في شمس الصيف فينبغي أن يأكل أكلاً معتدلاً من شيء دسم، ولا يكثر من شرب الماءِ عليه، وليتلثّم بعمامةٍ، وليحتمل كربها ويتمضمض بالماء كل ساعة ولا يسيغه إلاّ أن يكون بارداً، ويتنشق من دهن القرع الحلو تنشقاً صالحاً أو من دهن اللوز، ويبتلع منه شيئاً يسيراً، ويطلي بطنه وصدره قبل المسير بلعاب بزر قطونا أو عصير بقلة الحمقاء مضروباً بدهن قرع وبياض بيضة، وإن حمل معه قضبان بقلة الحمقاء وامتص منها نفعهُ جداً، ولاسيمّا إن أكل منها قبل أن يسير أكلاً كثيراً مطبوخاً بالرائب والسمن أو بالبصل، فانه طعام نافع لمضرة السموم ومُذهب للعطش، ومما يذهب عادية السموم أن يقطع البصل، وينقع في الرائب يوماً وليلة بماء بارد، ثم يؤكل منه قبل المسير ويشرب من ذلك الرائب عليه. وإذا نزل العطشان الحرَّ، فلا يسارع إلى شرب الماء بل يتمضمض منه هنيهة ثمّ يسيغ منه قليلاً، ثم يأكل شيئاً (14أ) مبرداً ثم يشرب الماء عليه مصّاً.

[18]

في تسكين العطش ودفع مضاره

ينبغي لمن خاف العطش في طريقه أن لا يستوفي طعامه قبل مسيره بل يأكل شيئاً من البقول الباردة والبوارد الحامضة، ويشرب من السكر والسويق بماءٍ كثير بليغ البارد، وليحذر الأكل من المالح والحلو والحريف والسمك خاصة طريه ومالحه وممقوره، ومن جميع ضروبه، فإنه معطش، وكذلك من الكواسج والرواصر[1] المالحة والكبد خاصة والزيتون وينبغي أن لا يخبّ ولا يستعجل في السير بل يترفق، فإن الخَبَبَ والعجلةَ في الحركة تُلجئ إلى تواتر النفس وعُظْمه، وذلك من أبلغ شيء في تقبيح العطش. ويجب أن لا يكثر من الكلام، فان الإكثار منه يُعطّش أيضاً، فان اضطرّ إليه فليخفض الصوتَ ما أمكن، لأنّ الصياح يعطش ويهيجّ الحرارة والعطش جداً. ومما يدفع العطش ويسكّنه مدة طويلة أخذ الرائب الحامض وبقلة الحمقا والخس والقرع والخيار والبطيخ غير الحلو والكمثرى الكثير الماء القليل القبض إذا كان غير صادق الحلاوة، والرمان والتفاح ونحوهما من الفواكه الحامضة وحامض الأترج والحصرم والريباس[2] والأجاص اليابس، فهذه إذا أخذت قبل المسير منعت هيجان العطش.

وممّا يمسك في الفم، ويتعلل به عند المسير فيدفع به العطش (14ب) الأجاص اليابس الحامض يلاك واحدة واحدة، وتمر هندي أو حبّ رمان حامض أو سماق ونحوهما، وينفع أيضاً بعض النفع أن تمسك

---

(1) الرواصر: لم أقف على معناها.

(2) الريباس: نبات اسمه العلمي (Rheum Ribes) ابن البيطار، 1/ 508، تكملة المعاجم العربية، 5/ 260.

في الفم قطعة بلور أو صدف أو فضة خالصة نقية، وتضم الشفتان ولا يتنشق الهواء بالفم أصلاً ما أمكن ويشمّ ساعة بعد ساعة من بعض الرياحين الباردة. وإن كان في الماء قلة، فليمزج بالخل فأنّ قليله حينئذٍ يبلغ من تسكين العطش مبلغاً، وينبغي أن يتغذى بالأغذية الممسكات للعطش ويحذر مهيّجاته. وهذه صفة أقراصٍ تطفي الحرارة، وتُسكنّ العطش، وتنفع من الحميات الحارة غاية النفع، وتمنع العطش. يؤخذ منها قبل المسير وبعده الحبة بعد الحبة في الفم فتقطع العطش غاية القطع وتطفيء اللهب والحرارة وهي من وصف محمد بن زكريا الرازي[1]:

يؤخذ من بزر خيار وبزر قرع مُقَشَّرين جزءاً وجزءاً، وبزر خس وبزر بقلة، فيدُقّ وينخل، ويجمع بلعاب بزر قطونا ويتخذ أقراصاً صغاراً، ويؤخذ منها عند المسير واحدة بعد واحدة في الفم ولا يمضغ بل يترك حتى تنحل قليلاً قليلاً وتذوب، وإن كان في الصدر خشونة أخذت قبل المسير بجُلاّب أو شراب بنفسج وهذه الأقراص تنفع من حرقة البول غاية النفع، ومن أصابه العطش في طريقه فينبغي أن لا يروى (15أ) من ساعة يصادف الماء، بل يتمضمض ساعة ويتجرّع منه قليلاً قليلاً، ويضع أطرافه فيه يغسل وجهَهُ ويدخل فيه إن أحبّ ذلك ولا يشرب منه إلاّ أقلّ ما يقدر عليه الجرعة بعد الجرعة، بل يأكل بعض الأغذية الموصوفة ويزيدُ في الشرب قليلاً قليلاً، فإنه بهذا التدبير يمكنه أن يسلم من العطش المهلك ومن سائر أعراض السوءِ التابعة له إن شاء الله تعالى.

---

(1) محمد بن زكريا الرازي: من أئمة صناعة الطب، ولد وتعلم في الري وجاء إلى بغداد بعد سن الثلاثين، تولى رئاسة أطباء البيمارستان العضدي ببغداد ومات فيها، له 232 كتاباً ورسالة، طبع كثير منها، وطبع الحادي باللاتينية والعربية، من مصادره: الأعلام: 6/ 364-365، وطبقات الأطباء: 1/ 319-321، ونكت الهيمان، ص 249، وتاريخ حكماء الإسلام، ص 21.

[19]

تدبير المسافر في البرد الشديد والثلج الكثير

قالت الأطباء إنّه كما يعرض من المسير الطويل في الحرّ الشديد قشف البدن وذبوله والصداع والحميات ونحوها من الآفاق، كذلك يعرض من المسير في البرد الشديد آفات منها الجمود والعَشى والسكتة والاسترخاء والكزاز وعفن الأطراف. ومن ألجأ إلى المسير في البرد الشديد، فينبغي أن يمتلئ من الطعام وينال من الشراب نيلاً صالحاً ويُمسك عن الحركة هنيهة بقدر ما يسخن الطعام ويسكن ما يُحدثه من القوة في البدن، ولتكن أغذية حارة بالقوة والفعل معاً. وإن كان البرد شديداً، واحتاج أن يسير ساعة أكْلِه، فليفتر الشراب ويشربه صرفاً أو يصبّ عليه قليلاً من الحار بقدر ما يفتر به، وليكن شرابه قويّاً لا لطيفاً، لا قبض فيه ولا حموضة وليلتثم (15ب) تلثماً وثيقاً، لاسيّما إن كانت تهب رياح باردة مقابلة لوجهه، وليحترس منها أكثر إذا كانت بصدره علّة وخشونة أو سلعة أو كان ضعيف الصدر والرئة، فان هؤلاء يسرع إليهم مِنْ تَنَشُّقِ الهواء البارد سعالٌ شديدٌ ونفث دمٍ. وممّا ينبغي أن يؤخذ قبل المسير في البرد الشديد الطعام المتخذ بالجوز والثوم والبصل والسمن. وللثوم خاصيّة في هذا المعنى وله فضيلة تامة، وذلك أنّه يسخن البدن، ويشعل الحرارة الغريزية، حتى ينبسط في جميع البدن ويكثر فضلاً عن نصف البدن، وكذلك يفعل الحلتيت[1] إذا أُخذ منه وزن درهم مع رطل شراب قوي أو بماء العسل والفلفل أيضاً إذا أكثر منه في الطعام أو شرب

---

(1) الحلتيت لم أقف على معناها.

في ماء العسل. وكذلك البصل النيّ والكراث والاسفيذباجات[1] المطيبة الكثيرة التوابل، وإذا قطع مسيره ونزل فلا ينبغي أن يُبادر إلى اصطلاء ولا إلى الحمّام ولا إلى النوم، ولكنه يتردد سويعة في موضع دفيء قد أوقد فيه، ثمّ يقرب من النار على تدرّج قليلاً قليلاً، ويدخل الحمّام ويستطيل اللبث فيه ويتدلّك فان لم يجد حماماً، فليسخن له بيت الوقود فيه، ثمّ يتدلّك هنالك حتى تحمّر بشرتُه، ثم ليطل النوم في فراش وطيء ودثار دفيء، فإنه يسلم بإذن الله سبحانه وتعالى من الحميات (16أ).

---

(1) الاسيدباجات الطية: الاسبيدباج ضرب من الطعام معربة عن الفارسية، ومعناها الحساء الأبيض وهي مركبة من أسيد: ابيض وبا: حساء، وهو ساقط الجيم في الفارسية والاسبيدباجات مذكورة في تذكرة داود الإنطاكي، ص 42، وفي ابن البيطار، ص 57، وفي كتاب الطبيخ لمحمد بن الحسن البغدادي، ص 32، وفي تكملة المعاجم العربية لرمزي، 1/ 124-125.

[20]

علاجُ مَنْ أصابَهُ جمودٌ من البَرْدِ

من أصابه ذلك ولم يبلغ حدّ اليأس منه، فينبغي أن يسخنَ له موضع من الريح بالوقود، ثم يدلّك فيه بالأيدي الكثيرة الحارة دلكاً جيداً كثيراً سريعاً ليّناً يغمر به جميع بدنه خلا الرأس، فإنه ينبغي أن يُكَمَّد بخرق مسخنة حتى إذا دلّك ناعماً ألزم أبداناً حارة تضاجعه وتماسّ بدنه لا سيّما البطن والظهر، وليؤخذ شيء من الحلتيت ومن الفلفل في شراب قوي ومن ماء اللحم حتى إذا ثابت إليه نفسه قليلاً، غُذّي بها وبالاسفيذ باجات وسُقي شراباً ليس بالكثير، ومُهّد له ووطي ودُثّر ناعماً وأمر بطول النوم، حتى إذا صَلُح وأفاق فيدخل حماماً حاراً، وليطل المكث فيه، ويكثر التدلّك، ويمرّخ بدنه بدهن سَوْسن أو دهن نرْجس قد فتق فيه قسط وجندباً دستر[1] ومسك وفرفيون[2].

---

(1) جندبا دستر: يطلق على إفراز القندس، وهذا الإفراز ينفع في علاج نهش الهوام ووبلج الأشياء كثيرة، وجلده غليظ الشعر يصلح للبس المشايخ، ولحمه نافع للمفلوجين، والقندس حيوان بري – بحري يوجد في بلاد الجفجاق، وقيل الجند بادستر، يطلق على خصيَّة هذا الحيوان. ينظر تكملة المعاجم العربية لدوزي، ج2، ص 308-309.

(2) الفرفين الفرفير: وهي البقلة الحمقاء وفي لسان العرب: الفرفخ والفرفخة: البقلة الحمقاء ولا تنبت بنجد، قال أبو حنيفة فارسية عُرّبت وفي مختار الصحاح: الفرفخ: البقلة الحمقاء التي يقال لها: البويهين، وفي مخطوطة الثعالبي (الفرفيون) تكملة المعاجم العربية لدوزي، ج8، ص 55. تسط ، قسطون: قسطوس، وهو الشاهد. تكملة المعاجم العربية لدوزي، ج8، ص 271.

[21]

حفظ الأطراف مِنَ البَرْد

ينبغي أن تُدَلّك أصابع الرجلين، ثم يمرخ تمريخاً بزيت عتيق ثم يلفّ ويجمع ما بينهما وما تحتها وما فوقها وتحت المشط كلّه بشعر ليّنٍ، ثم تدخل في الجوارب الرقيقة الوطية، فإن لبس الخفّ وكان بارداً فليتوقّ أن يبتل ويرطّب، ومما تسمح به الأطراف فيدفع آفة البرد عنها جميع الأدهان الحارة كدهن الزنبق (16ب) وألبان ودهن الغار والسوسن، والقطرات أقواها كلها فِعْلاً في ذلك، فإنه يمنع البرد والعفن ومما ينفع الرجل تغيّر الدثار والمشي والدلّك.

[22]

علاجُ قمرٍ بالعين من كثرة النظر إلى الثلج

من يخشى أن تقمر عينه فليكن لباسه سواداً، وليعتمّ بعمامة سوداء أو يشدّ تحت عينه عصابة سوداء حيث تقع العين عليها، ويأخذ خرقة سوداء ويُدمن النظر إليها، وليكن من يسايره من حواليه عليهم السواد. ومما ينفع غاية النفع أن يسدَّ على العينين ذلك المنسوج من الشعر الأسود من أذناب الخيل [و] الدواب الذي يستعمله الأتراك في أسفارهم.

[23]

علاج التعب والإعياء الشديد

مَنْ تعبَ وعيا ولقي من سفره نَصَباً، فليسترح إذا نزل ساعة، ثمّ ليدخل الحمّام، فإن لم يصادف الحمّام فليدخل في ماءٍ حارٍ هنيهة بقدر ما تلين بشرتُه وتكاد تحمّر ثم يتدلّك تدليكاً ليّناً وليغمر مفاصله، ثم يتمرخ بدهن قد طُبخ فيه إذا كان الزمان شتاءً.

[24]

اختيار منازل العسكر

ينبغي أن ينزلوا في الصيف التلالَ والروابي، ويستقبلوا بوجوه الخيامِ الشمال، ويباعدوا الدّوابَ. وأمّا في الشتاء فليكن التدبير في ذلك بالضدّ ولينزلوا الأغوار وأصول الآكام (17أ) والجبال ويستقبلوا الجنوب، ولا يفرقوا الخيام بعضها من بعض، وكذلك الدواب.

[25]

تدبير راكب البحر

ينبغي لمن يريد ركوبَ البحر أن يتزود من رُبوب الفواكه، ومن الأدوية المعتادة ويقل غذاءه قبل ذلك أياماً ويجعله من المعونة للمعدة، ولا ينظر إلى الماء يوم يركب، وليأخذ من الأشياء المسكّنة للمعدة من الغثا[1] كالطين الخراساني وحبّ الرمان الحامض والسماق والزعرور، فإن لم يسكن الغثا فليتقيأ مرّاتٍ ثم يأخذ ربوب الفواكه.

---

[1] الغثا: غَثِيّ وغَثَيان: جيشان النفس وتهيؤها للقيء. تكملة المعاجم العربية لدوزي، ج7، ص 383.

[26]

نكت في ركوب البحر

كان يقال: البحر خلق عظيم ركبه خلقٌ ضعيف، دودٌ على عود.

وقيل بعض ركّاب البحر أيّ شيء رأيت أعجب من عجائب البحر؟

قال: سلامتي منه.

يقال: ليس شيء من أمور بني آدم أهول وأعظم خطراً من شيئين: ركوب البحر وحضور الحرب.

وقال بعض العلماء: لم يُبقِ غايةً من الحرص من ركبَ البحرَ.

ومن أحسن ما قيل في الشفاعة لراكب البحر إلى الممدوح [عبدالله بن محمد بن أبي عيينة] [1] لبشر بن يزداد المهلبي، وهو على السند[2]:

---

(1) في اسم الشاعر واسم الوالي تحريف قمنا بتصويبه في الأصل: قول أبي عيينه، والصواب ما أثبتنا.

(2) الصواب داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة.

والشعر لعبدالله بن محمد بن أبي عيينه في ديوانه، ص 7. رواية الأول في ديوانه: قصدت إليك بعض مراكب ورواية عجز الثالث: للخوف والذعر، ورواية عجز الرابع في الديوان: كنت، تصحيف.

إنّ أمــرءاً خطفــت إليـكَ بــه   في البحــر غــير مراكــبِ البحــرِ
تَجْــري الريــاحُ بـــه فتحمِلُــهُ   وتكُــفُّ أحيانــاً فــلا تَجْــري
ويــرى المنيّــةُ كُلمَّــا عَــصَفَتْ   ريــحٌ بـــه للـــهول والـــذُّعْرِ
لَلْمُـــستَحِقٌ بــــأنْ تُــــزوِّدَهُ   كُتــبَ الأمــانِ لَــهُ مــن الفَقْــرِ

وأحسن منه قول دعبل لمحمد بن عمران التيمي(1):

وقد كانَ هذا البَحْرُ ليس يَجُوزُهُ   من الناس إلاّ خائفٌ أو مخاطرُ
فأضحى أنيساً بابتنائك عامراً   كأنّ له الآمال فيه القناطرُ

(1) البيتان لدعبل في ديوانه، ص 395، ط2، تحقيق عبد الكريم الاشتر وفيه أنه مما مدح به داوين يزيد المهلبي والي السند رواية عجز الأول: سوى خائف من ذنبه أو مُخاطرِ، ورواية الثاني في الديوان:

فصار على مرتاد جودك هيّنا   كأنّ عليه محكمات القناطرِ

[27]

فقه السَّفر

في الخبر: إن الله تعالى يُحبّ أن تُقْبَلَ رُخَصَهُ كما تُؤدى فرائضه)[1].

وعن يعلى بن أمّية قال: قلت لعمر بن الخطاب ﷺ إنَّ الله تعالى يقول: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ﴾[2]، وقد آمنا، فقال عمر: "عجبتُ ممّا عجبتَ منه فسألتُ النبي ﷺ فقال:" قَصْرُ الصلاةِ في السَفر صَدَقَةٌ تصدّق اللهُ بها عليكم، فاقبلوا صَدَقَتَه"[3].

وكان ابن عباس يقول: الرُخْصة من الله تعالى صدقة فلا تردّوها عليه. وعنه ﷺ أن الله فرض الصلاة في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة، ولا خلاف بين الفقهاء في جواز قصر الصلاة في السفر ما خلا صلاتي الصبح والمغرب وذلك تخفيفُ من الله تعالى ورحمة أراد منه لليسر لا للعُسْر لعباده[4].

---

(1) ورد الحديث بالرواية التالية: (أن الله يحب أن تؤتي رخصة كما يحب أن تؤدى عزائمه) رواه أحمد، 2/ 108، عن ابن عمر وصحيح الجامع، 1882، ارواء الغليل، ص 564.

(2) الآية 101 م سورة النساء رقم 4 وتمام الآية: (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا، أن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً).

(3) ورد الحديث الشريف كتاب الدعوات: تحفة الأحوذي رقم الحديث 3437، مجلد 1، ص 2452.

(4) جاء في كتاب (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم القرطبي ما نصّه: "فرض الله الصلاة على لسان نبيّكم في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة"، باب ما جاء في قصر الصلاة، ج2، ص 328-1417، دمشق تأليف محمد اشرف بن أمير العظيم آبادي، الحديث رقم 57، بيت الأفكار الدولية، السعودية.

وقال بعض الأعراب:

ليـتني في المـسافرين حيـاتي	لا نريـد المقـام بالترحـال[1]
بل بخمسٍ تطيحُ منهنَّ سِتٌّ	وثلاثـين لا تمـرّ ببـالي (18آ)

يعني خمس صلوات يذهب منها ست ركعـات، والـثلاثين يعـني شهر رمضان.

ومن رُخَص السَّفَرِ التَيَمّمُ عند عـدم المـاءِ كمـا قـال الله تعـالى: ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾[2]، والتَيَمُّم ضربتان: ضربة للوجه وأخرى لليدين.

ومن رخص النبي ﷺ المسح على الخفّين مكان غسل الـرجلين في الوضوء للمقيم يوماً وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها.

وفي الحديث: "ليس من البرِّ الصيام في السفر"[3].

---

(1) هكذا في الأصل ولعلها (لا يقلّ).

(2) الآية رقم 6 سورة المائدة رقم 5.

(3) الحديث بنصّه في كنز العمال، 8/ 503، عن ابن عمر رقـم الحـديث 23843 وورد بـصيغة أخرى حين حدَّث الرسول ﷺ وفداً من اليمن فقال: "ليس من امبرّ امْ صِـام في امـسفر"، بـرقم 23856 من كنز العمال.

[28]

غزل السفر

أنشدني الصولي لأحمد بن سليمان بن وهب في غلام له خرج إلى الكوفة لقبض رزقه:

دمـــوع الــصبِّ مَذْروفَـــهْ ونَفْـــسُ الـــصَّبِّ مــشغوفَهْ

مـــن الـــشوق إلى البـــدر الـــذي يطلـــع بالكوفَـــهْ [1]

ومن أحسن ما قيل في مسافر يزداد حُسْناً في سَفَرِه، كالهلال الذي ينمو على سيره، وفي مثاله، قول ابن طباطبا: [2]

قلْ لمن أصبحَتْ له الشمس غَيْرى فهـي فيمـا تُسامُ في الأفـقِ حَيْـرَى

إنَّك ازدَدْتَ حين سـافرتَ حُـسْناً لم يَسُمْ حسن وجهـك السيرُ ضَـيْرا

كازديـاد الهـلال مــن نـوره في أول الــشهر كلمّــا ازداد سَــيْرا

وقلتُ في صباي: (18ب)

فَـديتُ مُـسافراً ركِـبَ الفَيـافي وأثّـــر في محاسِـــنِه الـــسِّفارُ

---

(1) البيتان لأحمد بن سليمان بن وهب في كتاب آل وهب من الأسر الأدبية، ص 327، ومعجم الأدباء، 3/ 58، وأحمد هذا من أسرة ال وهب الأدبية كان ناثراً ناظماً له ديوان في خمسين ورقة ذكره ابن النديم، وله ديوان رسائل. تقلد بعض الأعمال، نظر للسلطان في جباية الأموال، توفي سنة 285هـ

(2) الأبيات لابن طباطبا في ديوانه، ص 52، رواية عجز الأول: في الجو حيرى. ورواية الثاني: يأبى زدتَ لم تسم وجهك الغزالة ضيراً.

فمَسّكُ وردَ خَدَّيهِ الفيافي وعَنْبَرَ مِسْكَ صُدغَيْهِ الغُبارُ[1]

وأنشد[2] رحمه الله لنفسه:

أيا زائرَ البيتِ العتيقِ وتاركاً قتيلَ الهوى لو زُرْتَني كان أجدرا
تحجُّ احتساباً ثم تقتلُ عاشقاً فديتُكَ لا تحجُجْ ولا تقتُلِ الورى

أبو الفرج الببغاء[3]:

يا غازياً أتتِ الأحزانُ غازيةً إلى فؤادي والأحشاء حين غزا
إنْ بارزتْكَ كماةُ الروم فارِمِهمُ بسَهْم عينيك تَقْتُل كلَّ مَنْ بَرَزا

(1) التتفة للثعالبي في ديوانه، ص 53-54. رواية صدر الثاني: خَدَّيه السوافي.
(2) كلمة غير مقروءة لعلّها (البسامي).
(3) البيتان للببغاء في ديوانه، ص 58.

[29]

أحسن ما قيل في المفاوز وأحوال السفر وذكر السراب والجو والمطر

من أحسن ما سمعتُ في وصف المفاوز وطولها قول مسعود أخي ذي الرمة[1]:

1- ومَهْمَهٍ به السَّرابُ يَلْمَحُ.
2- دَليلُهُ من هَوْلِهِ مطّرح.
3- يدأبُ فيه القومُ حتى يَطْلَحوا.
4- ثم يَظَلُّونَ كأنّ لم يَبْرَحوا.
5- كأنّما أمْسَوا بِحيثُ أصْبَحوا.

وقول ابن عبادٍ[2]:

وَتيهاءَ لم تطمثْ بخُفٍّ وحافرٍ ... ولم يَدْرِ فيها النجمُ كيف يغورُ
مَعالُمها أنْ لا معالمَ بينها ... وآياتُها أنّ المسيرَ غرورُ
فلو قيل للغيثِ آسقِها ما اهتدى لها ... ولو جاز ملءَ الأرضِ وهي حَرور
تجشّمْتُها والليلُ وخفتَ جناحُهُ ... كأنّيَ سِرٌّ والظلامُ ضميرُ

(19أ)

---

(1) الأرجوزة له في كتاب التشبيهات لابن أبي عون، ص 73، رواية الشطر الأول: ومهمهٍ فيه، ورواية الثاني: دليلُه بِجُوَّةٍ مُطوَّحُ. ومسعود أخي ذي الرمةُ وهو مسعود بن عقبة من بني عديّ الرباب، وكانوا إخوة ثلاثة: غيلان وهو ذو الرمة وأوفى ومسعود، فهلك أوفى ثم هلك ذو الرمة، ومات مسعود في حدود عام 120هـ. تنظر الأعلام: 8/ 113. وطبقات فحول الشعراء، ص 5654-566، لسلام الجُمحي بتحقيق الشيخ محمود شاكر رحمه الله.

(2) المقطعة للصاحب بن عباد في ديوانه، ص 224.
ورواية عجز الثالث: ولو ظلّ ملء الأرض وهي جزور أحمد بن أبي بكر الكاتب.

ومن أحسن ما قيل في التفاؤل بها قول [أبي] أحمد بن أبي بكر الكاتب[1]:

قطعتُ من آمَلَ المَفازَهْ ... قطْعاً به آمَلُ المفازَهْ

ومن أحسن ما قيل في نُعاس الركب قول أبي نواسٍ[2]:

ركْبٌ تساقَوا على الأكْوار بَيْنَهُمُ ... كأسَ الكرى فانْتَشى المَسْقيُّ والساقي
كأنَّ أرؤُسَهُمْ والنَّومُ واضِعُها ... على المناكب لم تُعْمَد بأعناق

وقول ابن المعتز[3]:

وسَفْرٍ سُقوا خمر النُّعاس فغمّضوا ... كتغميض نُوّار الرياضِ النوائم
أمالَ الكرى أعناقهم ورؤوسهم ... كَمَيْلِ غصون الأيكِ تحت الحمائمِ

ومن أحسن ما قيل في نحول السَفْر ومطاياهم وركوبهم الليل إلى آمالهم:

وركْبٍ كأمثالِ الأسنَّةِ عَرَّسُوا ... على مثلها والليلُ تَسْطو غَياهِبُهْ
لأمْرٍ عليهم أن تتمَّ صدورُهُ ... وليسَ عليهم أن تتمَّ عَواقِبُهْ

---

(1) من بيت رئاسة كان أبوه وزير الأمير أحمد بن إسماعيل أيام الدولة السامانية ببخارى وكان شاعراً، تقلد أعمال هراة وبوشنج وبادغيث، شُغف باتخاذ الندماء والعزف والقصف، وعانى ضائقة مالية فانتحر بشرب السم، له ترجمة وأشعار في يتيمة الدهر، ج4، ص 64-69.

(2) النتفة لأبي نواس في ديوانه، طبعة الغزالي، ص 285، ورواية عجز الثاني: لم توصل بأعناق.

(3) لم أظفر بالنتفة في شعر ابن المعتز.

ومن أحسن ما قيل في السراب قول بعض الأعراب[1]:

أخَوَّفُ بالحجّاج حتى كأنّما يُحرّكُ عظمُ في الفؤادِ مَهيضُ
ودوَن يدِ الحجّاج من أنْ ينالني بِساطٌ لأيدي اليعملات عريضُ
مهامِهُ أشباهٌ كأنَّ سَرابَها مُلاءٌ بأيدي الغاسلات رخيصُ

وقول أبي نواس[2]:

إذا انحسر الظلامُ امتدَّ آلٌ كأنّا دُرّةٌ وهو البحارُ
(19ب)
يموجُ على النواظر وهو ماءٌ ويلفحُ بالهواجرِ وهو نارُ

وقول أبي سعيد الرستمي[3]:

وهاجرةٍ من نار قلبي شَبَبْتُها وقد جاشَ من حَرِّ الفراقِ مَراجِلُهْ
صُليتُ بها والآلُ يجرى كما جرى من الدمع في جفنيّ للبين جائِلُهْ

ومن أحسن ما قيل في حرّ الهجير قول عمر بن أبي ربيعة[4]:

---

(1) المقطعة للعديل بن الفرخ العجلي في كتاب البيان والتبيين، 1/ 208، وفي حماسة ابن الشجري، ص 199، ورواية عجز الثاني: الأيدي الناعمات وهي دون عزو في تشبيهات ابن أبي عوف، ص 71، ورواية صدر الأول: حتى كأنما في الأصل المخطوط: حتى كأنها والتصويب من تشبيهات ابن أبي عون.

(2) لم اجدهما في ديوان أبي نواس، طبعة الغزالي.

(3) البيتان من قصيدة لأبي سعيد الرستمي في يتيمة الدهر، ج3، ص 316.

(4) لم أظفر بالمقطعة في ديوان عمر بن أبي ربيعة، طبعة صادر.

ويوم كتنوّر الطَـواهي شُـجَرْتُهُ والقَيْنَ فيه الجَزْلَ حتى تَـضرَّما
قذفتُ بنفسي في أجيجِ سمومِه وبالعنس حتى أبتلَّ مِشْفَرُها دما
أوقَلَّ أنْ ألقى من النـاسِ عالِمـاً بأخبــاركم او ان الَمّ مـــسلّما

وقلت[1]:

رُبَّ يـــومٍ هـــواؤه يتلظّـــى فيحـاكي فـؤاد صَـبٍّ مُتَـيَّم
قلتُ إذ صَكَّ حَرُّهُ حُرَّ وجهي: رَبَّنا اصرفْ عنّا عـذابَ جهـنمْ

ومن أحسن ما قيل في الناقة قول أبي نواس[2]:

وتجشّمتْ بي هَـوْلَ كـلِّ تَنُوفـةٍ هوجـاءُ فيهـا جـرأة إقـــدامُ
تَـذَرُ المطــيُّ وراءَهـا فكأنّهـا صَـفٌّ تقــدَّمَهُنَّ وهــي إمــامُ

وقول أبي فراس الحمداني[3]:

فيا بُعْدَ ما بَـيْنَ الكَـلالِ وبَيْنَها ويا قُرب ما يرجو عليها المسافرُ

---

(1) التتفة للثعالبي في مجموع شعره المنشور في ص 115 من ديوان الثعالبي صـنعة محمـود عبـدالله الجادر رحمه الله، بغداد، 1990.

(2) البيتان لأبي نواس في ديوانه، طبعة الغزالي، ص 408.

(3) البيت لأبي فراس الحمداني في ديوانه، طبعة مؤسسة البابطين حسب المخطوطة التونسية، ص 26، وروايته: واقرب ما.

وقول ابن المعتز[1]:

وناقـــة في مهمـــهٍ رقـــا بهـــا   **همٌّ إذا نـام الـورى سـرى بهـا**
فهـي أمـام الركـبِ في ذهابهـا   **كسطرِ بسمِ اللهِ في كتابها (139)**

---

(1) لم أظفر بالنتفة في ديوان ابن المعتز صنعة يونس السامرائي.

[30]

إدامةُ السَّفَر وكثرة التقلب في البلاد وقطع الطريق الشاقة

وصف بعضُ الأدباء رجلاً فقال: جَوّابةٌ في الآفاق، وجوّالة في البلاد، فكأنّه قذاةٌ في عين الأرض يُقَلِّبُها من جانبٍ إلى جانب.

ووصف آخر مثله فقال: كأنّه خليفة الخضر في قطع عرض الأرض.

ووصف الصاحب رجلاً فقال: لا يبالي أين حطّ السفرُ رحله، ولا يفكّر أين حطّ الدهر ربعه.

ووصفه أيضاً فقال: يؤثر السفرَ على الوطن، والغربةَ على السَكَن والمسكن.

ووصفه الخوارزمي فقال: هو أسْيَرَ من الأمثال، وأسرى من الخيال.

ووصفه البديع الهمداني فقال: جوّالة البلاد جوّابة الأفق خذروفة البرّ، وعمارة الطرق.

والإمامُ في هذا أبو تمام فإنه يقول[1]:

ما اليومُ أوَّلَ توديعٍ ولا الثاني	البينُ أكْثَرَ من هَمِّي وأشجاني
دَعِ الفراقَ فإنَّ الدهر ساعَدَهُ	فصارَ أمْلَكَ من رُوحي بجُثْماني
خَلِيَفةُ الخِضْرِ من يَرْبَعْ على وَطَنٍ	في بلدةٍ، فَظُهور العيس أوطاني

(1) لأبي تمام في ديوانه، ج2، ص 308-309، مدح بها محمد بن حسان الضبيّ، رواية عجز الأول: وأحزاني. ورواية صدر: بالشام أهلي، ورواية الخامس: حتى تطوّح بي.

بالـشام قـومي وبغـداذ الهـوى وأنـا بـالرقّتيْن وبالفُـسْطاط إخـواني

وما أظنُّ النّوى تَرْضَـى بما صَنَعَتْ حتى تُبَلِّـغ بـي أقـصى خُراسـان

(20ب) وقال البحتري في هذا المعنى[1]:

وَطَني حيثُ حطَّتِ العيسُ رَحْلي وذِراعـي الوسـادُ وهـو مِهـادي

كُلِّـمِ الخَـضْرُ لـي فَـصَيّرني بَغْــ دَكَ عَيْنـاً علـى عبـاد الـبلاد

ليلـةً لـي بالـشآم ثمَّـت بالأهــ وازِ يومــاً، وليلـــةً بالـسَّوادِ

وحدثني الحامدي قال: كأني بالحارثي[2] ينشد ابن عبّاد قصيدةً له تجمعُ حلاوة الحضارة، وطلاوة البداوة، وهو يتزهر لها وهي:

هــذا فــؤادُكَ نُهبــى بــين أهــواءِ وذاكَ رأيُـكَ شُـورى بـين آراءِ

هــواكَ بـين العيـونِ النّجْـلِ مقتـسمٌ وذا لَعمـرُكَ مـا أضـناهُ مـن راءِ

لا تــستقرّ بــأرضٍ أو تــسير إلى أخرى بشخصٍ قريبٍ عزمُه نـائي

يومـاً بحـزوى، ويومـاً بـالعقيق ديـو مـا بالعـذيب ويومـاً بالخليطـاء

وتــارةً تنتحــي نجْــداً وآونــةً شِعْبَ العقيق وطوراً قصرَ تيمـاء

[كــذا تهــيمُ بــسُعدى برهــةً فــإذا هويت عزّة تبغـي وصـل عفـراء]

(1) المقطعة للبحتري في ديوانه، ج1، ص 620. رواية عجز الثاني: عيار البلاد، ورواية صدر الثالث: سقطت في الديوان لفظة (لي).

(2) لا يمكن أن تكون لفظة (الحارثي) صواباً فهو من شعراء القرن الثاني الهجري وابن عباد من شعراء القرن الرابع الهجري، والصواب أنه: أبو محمد الخازن، ورواية عجز الثاني: داءُ لعمرك ما أبلاه من داءِ. والخبر كاملاً في اليتيمة، ج3، ص 195-196. والمقطعة في اليتيمة، ج3، ص 195-196 ورواية الرابع فيها: وبالعذيب يوماً ويوماً بالخليصاء، والبيت السادس زيادة على ما في اليتيمة وهو في أصل مخطوطتنا والحامدي: هو محمد بن حامد الحامدي.

وأنشد الكعبي في كتابه "كتاب مفاخر خراسان" أبيات علي بن الجهم[1]:

جاوز النهرين والنهروانا	أجَلُولا يؤُمُّ أم حُلوانا
[ما أظن النوى تسوغه القرْ	ب، ولم تَمْخض المطيُّ البطانا]*
نَشَطَتْ عُقْلُها وهبّت هُبوبَ الـ	رِّيحِ هوجاء تخبطُ البُلدانا
أوْرَدَتْنا حُلوانَ ظُهْراً وقِرْ	ميسين ليلاً وصَبَّحَتْ هَمَذَانا
شدّ ما شمّرت بناديكَ أنْ الـ	الريُّ من قصدها أو الدامغانا (121)
أو تُحييّ بناء بلادَ خُراسان	فأحْيبْ بأهلها إخوانا
أنظرينا إذا مررنا بمروٍ	ووردنا الرُّزيقَ والماجانا
كي تُحييّ ديارَهَهْم وإدريـ	ـسَ ويحيى ونسأل الأقرانا

وصف البديع الهمداني قاطعاً للطرق الشاقة فقال: مسح أطراف المراحل، وتجشّم أهوالَ الموارد، وركبَ أكتافَ المحارمِ، وصابرَ أنيابَ النوائبِ.

ووصف آخر فقال: يسنم عقاباً لو رأتْها العقاب لحصّت قوادمها وخوافيها قبل أن يكمل تصاعدها وتراقيها.

---

[1] المقطعة لعلي بن الجهم في ديوانه، ص 186، ط2، تحقيق خليل مردم بك، والبيتان الرابع والخامس سقطا من ديوانه وانفردت بهما مخطوطتنا فهما مما يستدرك على الديوان، رواية الأول: جاوزت نهر بين تؤمُّ ورواية الثاني: فهبت هبوب الريح خرقاء، ورواية السادس: انظرتنا ورواية السابع: ديار فهم بخير ونسأل الإخوانا، والبيت المؤشر بنجمة: استضفناه من يتيمة الدهر.

[31]

التعلّل بتحسين الغربة

قال بعض الحكماء: ليس بينك وبين بلدك نَسَبُ، فخيرُ البلادِ ما حملك وجمّلك، وأعانك على الدهر ولم يُعنِ الدهرَ عليك.

وقال آخر: ليس على أديب غُربة.

وقال علي بن عبيدة (21أ): الثروة وطن الغريب، والعُسر غربة المقيم[1].

الفقـــرُ في أوطاننـــا غُربـــةٌ والمـــالُ في الغربـــةِ أوطـــانُ

والأرضُ شـــيءُ كُلُّـــه واحـــدٌ ويخلـــف الجـــيرانَ جـــيرانُ

وقال آخر[2]:

إذا نلت في أرض معاشاً وثروةً فلا تكثرنْ فيها النزاعَ إلى الـوطَنْ

فمـا هـي إلاّ بلـدةٌ مثـل بلـدةٍ وخيرهما ما كان عَوْناً على الـزَمَنْ

---

(1) المثل في التمثيل والمحاضرة، ص 392، وروايته: المال في الغربة وطن والنقر في الـوطن غربـة. والبيتان دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 92. وهما دون عزو أيضاً في الحكم والأمثال، ص 189.

(2) البيتـان دون عـزو في اللطـائف والظرائـف، ص 92، ودون عـزو أيـضاً في كتـاب الحكـم والأمثال، ص 189.

ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول أبي تمام[1]: (21ب)

وطُولُ مُقامِ المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ لِديباجَتَيْهِ فاغتربْ تَتَجَدَّدِ
فإنّي رأيتُ الشمسَ زِيدتْ محبّةً إلى الناس أنْ لَيْسَتْ عليهم بِسَرْمَدِ

وأنشدني أبو الفتح البستي لنفسه[2]:

وطول مقام المرء في مستقرّه يغيِّرهُ لوناً وريحاً ومطعما

---

(1) لأبي تمام من قصيدة في ديوانه، ج2، ص 23.

(2) للبستي في ديوانه الكامل، ص 333. ورواية صدره في الديوان: فطول جمام الماء.





[32]
ذمُّ الغربة

قال بعض الحكماء(1): "الغريب كالغرس الذي فارق أرضه، وفَقَدَ شربه، فهو ذاوٍ لا يُزهر، وذابل لا يثمر".

وقال آخر(2): "الغريبِ كاليتيم [الفطيم] الذي فَقَدَ أبويـه، فـلا أمّ ترأمُ عليه، ولا أب يرقّ له".

وقال آخر: الغربة ذلّة فإن أعقبتها قِلّة فهي نفسٌ مضمحلة.

وقال آخر: عسرك في بلدك خيرٌ من يُسرك في غربتك(3).

وقال الأعشى(4):

ومَنْ يغتربْ عن قومه لا يزل يرى ... مـصارعَ مظلـومٍ مجـرّاً ومسـحبا
وتُدفَنُ منهُ الـصالحاتُ وإن يُـسِئْ ... يَكُنْ ما أساءَ النارَ في رأس كَبْكَبا

---

(1) النصّ في اللطائف والظرائف، ص 92.

(2) النصّ دون عزو في كتاب الحنين إلى الأوطان لابن المرزبان، ص 65، وروايته: الذي ثكل ولا أبٌ يرأف له.

(3) النص في اللطائف والظرائف، ص 92.

(4) البيتان للأعشى في ديوانه، ص 113 من القصيدة رقم 14، رواية الأول:

متى يغترب عن قومه لا يجد لـه ... على مذلـة رهـط حواليـه مغضباً

ورواية عجز الثاني: كوكبا.

وقال العتابي[1]:

فيا ابن أبي لا تغترب إنّ غُربتي   سقتني بماءِ الضيم كأسَ الحناظلِ

وقال آخر[2]:

وإنّ اغترابَ المرءِ من غير خلّةٍ   ولا همّةٍ يسمو لها لَعجيبُ

فحسْبُ الفتى ذُلاً وإن أدرك الغِنى   ونال ثراءً أن يُقال: غريبُ

(122أ)

وأنشد أبو الفتح البستي لنفسه[3]:

لا يعدمُ المرءُ كنًّا يستكنْ به   ومنعةً بين أهليه وأصحابهْ

ومن نأى عنهُمُ قَلَّتْ مَهابَتُهُ   كالليثِ يُحقرُ لمّا غابَ عن غابهْ

(1) البيت للعتابي في ديوانه، ص 44، ورواية عجزه في الديوان سقتني بكف الضيم ماء الحناظل.

(2) البيتان دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 93.

(3) البيتان للبستي في ديوانه الكامل، ص 72. رواية عجز الأول: ومتعة، وعجز الثاني: إما غاب.

[33]

الحنين إلى الوطن

الأوطان للناس كالعُشَشةِ للطير، والأوجرِ للسّباع، والحجرة للحشرات، وقد قرّن اللهُ الخروج منها بالقتل حين قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾[1].

وكان يقال: لولا الوطن لخربت بلاد السوء.

وقال بعض الحكماء: من إمارات العاقل بِرُّه بإخوانه، وحنينهُ إلى أوطانه، ومداراته لأهل زمانه.

وكان "بقراط" يداوي كلّ عَليل بعقاقير بلده، فإنّ الطبيعة ينـزع إلى غذائها.

وقال "جالينوس": يستروح[2] أرضه كما تستروح الأرضُ الجدبة إلى أوائل القطر.

وقال "الكعبي" : مازال الناسُ يحنّون إلى أوطانهم ولا يتحققّون سببَ الحنين، حتى جاء ابن الرومي وأفصح عن ذلك وأجاد فقال[3]:

وحَبَّبَ أوطانَ الرجالِ إليهم ... مآربُ قضّاها الشبابُ هُنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكَّرتْهُمُ ... عهودَ الصّبا فيها فحنّوا لذالكا

---

(1) الآية رقم 66 م سورة النساء رقم 4.

(2) كلمة غير مفهومة.

(3) التتفة لابن الرومي في ديوانه، ج5، ص 1826.

وذكر بعضهم وطنه فقال: ذلك عُشّي الذي فيه درجْتُ، ومنه خرجتُ.

وذكر آخر فقال: مَقْطع سُرَّتي ومجمع أسرتي. (22ب)

وسمع أبو دلف العجلي رجلاً يُنشد[1]:

لا يمنعنَّك خفضَ العَيْشِ في دِعَةٍ	نزوعُ قلبٍ إلى أهلٍ وأوطانِ
تَلْقىَ بكلِّ بلادٍ إنْ حللتَ بها	أهلاً بأهلٍ وجيرانا بجِيرانِ

فقال: هذه آلأمُ شعرٍ للعرب، لبُعْدِ قائله من الكرم في الحنين إلى الأوطان.

---

(1) التتفة دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 92.

[34]

ذِكْرُ الأيّام السالفة

من أحسن ما قيل في ذلك قول أبي تمام(1):

أأيَّامَنا ما كُنْتِ إلاّ مواهباً ... وكُنْتِ بإسعافِ الحبيبِ حَبائبا

سَنُغْرِبُ تَجديداً لعهدِكِ في البُكا ... فما كُنْتِ في الأيّامِ إلاّ غَرائبا

وقال ابن الرومي(2):

أتذكُرُ أيّاماً لنا ولياليا ... محاسنُها كالروضِ في صُبْحَةِ الدَجْنِ

عهودُ خَلَتْ محمودةً وكأنّها ... مُعانَقةُ اللذاتِ في حُلَّةِ الأمْنِ

وقال ابن طباطبا(3):

لله أيامُ اللِّقاءِ كأنّها ... كانت لسرعة مرِّها أخلاما

لو دام عيشٌ رحمةً لا في هوى ... لأقام لي ذاك السرور وداما

(1) لأبي تمام في ديوانه، ج1، ص 138، من قصيدة لها مدح الحسن بن سهل.

(2) من قصيدة لابن الرومي في ديوانه، ج6، ص 2456 يستبطئ صديقاً في مكاتبته إياه، ورواية صدر الأول: بها ولياليا.

(3) المقطعة لابن طباطبا في ديوانه، ص 91، ورواية صدر الأول: أيام السرور والثاني: رحمة لأخي الهوى، ورواية صدر الأول: أيام السرور، ورواية صدر الثاني: قبلها لأخي الهوى.

يا عيشَنا المفقودَ خُذْ من عمرنـا عامـاً ورُدّ مـن الـصِّبا أيامـا

وقال أيضاً[1]:

سُـقيا لأيّـام فُجِعْـتُ بطيبهـا قَصُرَتْ فمرَّتْ مثل لَحْظِ الأعْيُنِ
(123) فكأنّ بعد اليوم من ذكـراكمُ ثـاوٍ مُقيمـاً عنـدكم لم أظْعَـنِ
وكـأنّني عنـدَ الحـنينِ إلـيكُمُ ابـداً أحِـنُّ إلى صِبای ومـوطني

فصل لابن العميد:

سقى الله أيامنا التي جازت أيـامَ الـشبابِ حـسناً ورقـة، وفاقـت أعلامَ المطارف ليناً ودقّة، ولياليناً تخجل خدودَ الرياض وتفضح حواشـي الحُلل، وساعاتُنا التي هي ألطف من مُسارقة النظرِ ومخالسةِ القُبل، وعيشنا الذي يُنسي سكرة الحبّ، وغفلةَ الصبا، وزفرة العـشق، وطيـبَ الوصـل، ونعسة الرقيب، وغيبةَ الحافظ، وإسعاف الحبيب، وزيارة المومِوق، وحفظَ العهدِ، وانجازَ الوعدِ "تمرّ الليالي والشهور ولا ندري".

فصل للصاحب:

"يا أسفي علـى غفـلات العـيش، ولحظـات الأنـسِ، إذ ظهائرنـا أسحار، ولياليناً نهار، وشهوُرنا أيامُ، وسنوناً قصار، نأخذ ما شـئنا ونـدع ونلعب كما أردنا ونرتع، حين الدهر غلام، والحلمُ حرام".

[1] المقطعة أخلّ بها ديوان ابن طباطبا صنعة جابر الخاقاني رحمه الله.

وفصل له أيضاً:

"يا أسفاً على رداءٍ من الأيّام رقيق ما لبسناه حتى خلصناه، وروضٍ من الزمان مريع ما حللناه حتى فارقناه".

فصل له أيضاً:

"تذكّرتُ أيامَنا، فتذكَّرت سحراً ونسيماً، وعيشاً سليماً، وروحاً وريحاناً ونعيماً، وخيراً عميماً، وابتهاجاً مقيماً".

ولغيره:

سقى اللهُ أياماً حَسُنت، فكأنّها أعراس، وقصُرت، فكأنّها أنفاس.

[35]

إهداءُ السَّلام

أُهدي له السلام غضّاً طريّاً ووردا جنيّاً، وأُحَمِّلُهُ أنفاسَ الشمال فطالما ترددت بين معشوق وعاشق، واستودعُهُ نسيمَ الصّبا فطالما سفرت بين مشوقٍ وشائق.

سلامٌ كأنفس الأحباب بل كأيّام الشباب.

أخصّه من السلام بأوفر الأقسام، وأجزل السهام، وأستديم الله مُدّته مدى الليالي والأيّام.

أخصّه من السلام بما يُضاهي محاسنَهُ كثرةً، وأشكو قلقاً لفراقه وحسرة.

وقال بعضهم:

سلامٌ كما رقّ النسيمُ على الصّبا ... وفاحَ نسيمُ الوردِ في زمنِ الوردِ

وقال آخر:

عليكَ سلامُ الله أمّا قلوبُنا ... فمرضى وأمّا وُدُّنا فَصحيحُ

وقال آخر:

عليكَ سلامُ اللهِ يا خيرَ منزلٍ ... رحَلْنا وخلَّفْناهُ غيرَ ذميمِ

وقال آخر:

سلامٌ على اللّذاتِ واللّهوِ والصّبا ... سلامٌ وداعٍ لا سلامَ قدومِ

[36]

الدعاء بتيسير اللقاءِ

إسـأل الله أن ينـتقم مـن أيـام الـوَداع بـردِّ أيـام الاسـتمتاع وبالاجتماع، والله يعينُ على تعجيل الأوبةِ، وتخفيفِ أيامِ الغيبةِ.

جمع اللهُ سُروري بك، وعُمَّر عمري بالنظر (24أ) إليك.

إنّ من أتاح لي من وُدّك وهو أكرمُ موهوب، قادرٌ على أن يُيَسِّر لي قربَك وهـو أنفْـسُ مطلـوب، والله يحـرسُ مودّتَـك، ويطيـلُ مـدّتَك، ويجعلُ باقي عيشي معك.

[37]

لطائف المكاتبات بالشعر

أنشدني الصولي لعبيدِ الله بن عبدالله بن طاهر:

حَقُّ التنائي بيْن أهلِ الهوى تكاتبٌ يُسخنُ عينَ النّوى
وفي التداني لا انقضى عمرُهُ تزاورٌ يُشفي غليلَ الجوى [1]

وضمَّن بعضهُم كتاباً هذه الأبيات:

لئن درسَتْ أسبابُ ما كان بيننا من الوَصْلِ ما شوقي إليك بدارسِ
وما أنا من أن يجمعَ اللهُ بيننا كأحسن ما كُنَّا عليه بآيسِ

وضَمَّنَ آخرُ كتابهُ:

قد أطلتُ الكتابَ والشوقُ مُمْلٍ ليس يرضى في القول بالميسورِ
فَسَقى اللهُ منزلَ الشيخِ غَيْثاً وسقى اللهُ أرضَ نيسابورِ

وكتب أبو الفتح البستي[2]:

إذا نَسِيَ اللهُ أهْلَ الودادِ وخان المودةَ خوّانُها

---

(1) البيتان في مجموع شعر عبيدالله بن عبدالله بن طاهر، ص 37، المنشور في مجلة كلية الآداب بجامعة البصرة، صنعة قحطان عبد الستار الحديثي.

(2) البيتان للبستي في ديوانه الكامل ص 353. رواية صدر الأول: إذا نسي الناسُ إخوانهم.

فعنـــدي لإخـــوانيَ الغـــائبين صـــحائفُ ذكـــرُكَ عنوانُهـــا

وكتب أبو إسحاق الصابي إلى ابن عباد[1]:

لَمّـــــا وضـــــعتُ صَـــــحيفتي في بَطْـــنِ كـــفٍّ رســـولها
قَبَّلْتُهـــــــا لتمـــــــــــسَّها يُمنـاك عنـد وصـولها (24ب)
وتَـــــوَدُّ عَـــــيْني أنّهـــــا اقترنـــتْ بـــبعض فـــصولها
حتـــى تـــرى مـــن وجهـــك الــــ ميمـــونُ غايـــة سُـــؤلها

وكتب أبو الفتح البستي إلى أبي نصر بن أبي زيد[2]:

لَمّا أتـاني كتـابٌ منـكَ مبتـسمُ عن كُلّ حسنٍ وفضل غـير محـدودِ
حَكَتْ معانيـه في أثنـاء أَسْطُرِهِ آثـاركَ البـيض في أحـواليَ الـسّودِ
[ودبَّ في سرٍّ قلبي عند مطلعـه روحُ السرور، دبيبَ الماءِ في العودِ]

وكتب الصاحب إلى أبي الحسن بن عبد العزيز[3]:

بـــاللهِ قُـــلْ لـــي اقِرْطـــاسُ تَخُـــطُّ بـــهِ مـــن حلَّـــةٍ هـــو أمْ ألبَـــسْتَهُ حُلَـــلا؟

---

(1) الأبيات للصابي في ابن عباد، تنظر في يتيمـة الـدهر، ج 2، ص 276، روايـة عجـز الثالـث: قُربت ببعض فصولها.

(2) المقطعة للبستي في ديوانه الكامل، ص 138. رواية عجز الأول، عن كل برٍّ واستضفنا البيت الثالث من ديوانه.

(3) البيتان للصاحب بن عباد في ديوانه، ص 268، وفي اليتيمة، 3/ 263، ورواية عجـز الثـاني: على أفواهنا عسلا.

بـالله لفظـكَ هـذا سـال مـن عَـسَلٍ   أمْ قد صببتَ على ألفاظك العَسَلا؟؟

وكتب إلى الأمير أبي الفضل الميكالي جواباً عن كتابٍ إليه[1]:

سُـبحان ربّـي تبـاركَ اللهُ مـا   أشْـبَهَ بعـضَ الكـلامِ بالعَـسَلِ
والمسكَ والسحرَ والرُّقي وابنـة   الكرم وحَلْـيَ الحسان والحُلَـلِ
مثـل كـلام الأمـير سـيِّدنا   نظمـاً ونثـراً يـسيرُ كالمَثَـلِ

وقال الحامدي[2]:

أنـي أرى ألفاظَـك الغُـرا   عَطَّلـت اليـاقوتَ والـدُرّا
لـك الكـلامُ الجـمُّ يـا مَـنْ غـدا   أفعالُـهُ تـستعبدُ الحُـرّا

وإلى أبي نصر العتبي من قصيدة[3]:

(1) المقطعة أخلَّ بها ديوان الصاحب بن عباد.

(2) هو أبو عبدالله محمد بن حامد الحامدي، وحامدة من أعمال واسط، له إشعار قليلة في اليتيمة، ج2، ص 373-374، ولم نظفر بتخريج البيتين.

(3) في الأصل المخطوط ما يلي: وإلى الحامدي وإلى أبي نصر العتبي، وكتب إليه، وهي في السياق معطوفة على نصّ سبقها وهو (وكتب الصاحب إلى أبي الحسن بن عبدالعزيز). وبعدها ما نصّه: (كتب إلى الأمير أبي الفضل الميكالي جواباً عن كتاب إليه)، مما يطرح احتمالاً أن تكون هذه الأشعار المواجهة إلى الحامدي والعتبي هي من شعر الصاحب بن عباد، وقد بحثت في ديوانه فلم أظفر بنصّ منها، والعتبي هو أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي من جلساء ابن عباد.

كيـف وقلـبي حاضـرٌ مثـلُ غائـبِ   ونـارُ اشـتياقي في الحـشا والترائـبِ

وما كنتُ أرجـو مـن حيـاةٍ ومهجـةٍ   مكـدّرةٍ بـين النـوى والنوائـبِ

(125أ) وكتب إليه:

وكتبُكَ حولي ما تفارقُ مـضجَعي   وفيهـا شـفاءُ لّلـذي أنـا كـاتمُ

كـأنّي ملحـوظ مـن الجـنِّ نظـرة   وهُنّ حـواليّ الرُقـى والتمـائم

وكتب ابن يحيى المنجم[1]:

بيني وبـين الـدهرِ فيـكَ عتـابُ   سـيطوُل إن لم يمحُـه الإعتـابُ

يـا غائبـاً بمـزاره وكتابـه   هـل يُرتجـى مـذ غيبتـكَ إيـابُ

لا تأسَ من فَـرَجِ الإلـه فرُبّمـا   يصلُ القَطـوع ويقـدمُ الغُيّـابُ

---

(1) علي بن يحيى بن المنجم (ت 275هـ) نديم المتوكل العباسي خصّ به وبمن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد، كان رواية للأشعار والأخبار وشاعراً محسناً توفي بسامراء، رثاه عبدالله بن المعتز، من آثاره: أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي وكتاب الشعراء القدماء الإسلاميين، وكان أبوه يحيى فارسي فاسلم على يد المأمون وكان ابنه يحيى بن علي بن يحيى المنجم شاعراً أيضاً وله ديوان الإعلام، 5/ 184.

[38]

قربُ اللقاءِ ووشك القدوم

قال أبو إسحاق الموصلي:

طَرِبْتُ إلى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغارِ ... وهاج لي الهوى قربُ المزارِ[1]

وكُلّ مُسافرٍ يزدادُ شوقاً ... إذا دنت الديارُ من الديارِ

وصَدَّر الصاحبُ كتاباً بهذه الأبيات[2]:

إذا دَنَتْ المنازلُ زاد شوقي ... ولاسيما إذا بدت الخيامُ

فلمحُ العين دونَ الحيّ شهرٌ ... ورجُع الطّرفِ دون الشّهرِ عامُ

وصَدَّر أيضاً كتاباً[3]:

تَحَدَّثت الركابُ بسيرِ أروى ... إلى بَلَدٍ حَطَطتُ به خيامي

فكِدْتُ أطيرُ من شوقٍ إليها ... بقادمةٍ كقادمةِ الحَمامِ

---

(1) التتفة لأبي إسحاق الموصلي في ديوانه، ص 133. ورواية عجز الأول: وهاجكَ منهُمُ، بتحقيق: ماجد العزّي.

(2) البيتان أخلّ بهما ديوان الصاحب بن عباد بتحقيق الشيخ محمد حسن ال ياسين رحمه الله.

(3) البيتان كتبهما الصاحب إلى القاضي الفضل بن محمد الجرجاني وهما له في ديوانه، ص 279

وفصل له:

"قد شارفت النوى أن تنحسمَ، والمسرّةُ أن تنتظمِ(25ب).

أنا شائم من لوامع اللقاءِ ما أرجـو أنّ تـصدق رواعـدُهُ، وتـدنو أباعِدُه، وبإذن الله ومشيته.

له أيضاً: قد هبّ نسيمُ القُرْب، وبدا حاجبُ الوَصْلِ، وخلـصت إلى صبا نجد، وبشّرت بمنى النفس.

فصل للهمذاني إلى الخوارزمي[1]:

أنا نطرب بقربِ دار الأستاذ كما طرب النـشوان بـه الخمـرُ مـن الارتياح للقائه، كما انتفض العصفور بلّله القطر، ومـن الامتـزاج بولائـه كما التقت الصهباء والبارد العذبُ، ومن الاهتزاز لمزاره كمـا اهتـزّ تحـت البارح الغُصُن الرطبُ".

(1) ما كتبه بديع الزمان الهمذاني إلى أبي بكر الخوارزمي موجود في التبيان وهو كتاب الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي (ت 743هـ) ص 361، وفيه أيضاً رد الخوارزمي عليه، وقـد وهـم صانع ديوان الخوارزمي حامد صدقي إذ ظنّه شعراً، وهـو في واقعـه نثر أعقبتـه أشـطار مـن الشعر له أو لغيره.

[39]

ذِكْرُ القدوم

كان النبي ﷺ إذا قفل من غزوة له استقبلَهُ صبيانُ المدينة يُنشدون:

طَلَــــعَ البـــــدرُ علينـــــا ... مـــــن ثَنِيـــــات الــــوداعِ

[أيهـــــا المبعــــوث فينــــا ... جئـــــت بــــالأمر المطـــــاعِ]

وجـــــبَ الـــــشكرُ علينـــــا ... مـــــا دعـــــا لله داعـــــي[1]

وللبحتري[2]:

أهـــلاً بهــــذا المَلِــــكِ المُقْبِــــلِ ... جـاء مجـيءَ العـارضِ المُسْبَلِ

قَـدِمتَ فابتـلَّ يَبـيسُ الثَّـرى ... واخضرَّ عُـشبُ البَلَـدَ المُمْحِـلِ

وله أيضاً[3]:

قَدِمْتَ كما جاء النـدى تحمـل الرضـا ... إلى كُلِّ غـضبانٍ علـى الـدهرِ عاتـبِ

وجئـتَ كمـا جـاءَ الربيـعُ مُحَرِّكـاً ... لـديك بـأخلاف تفـي بالـسحائبِ

فعـادَتْ بـكَ الأيـام زُهْـراً كأنّمـا ... جَلا الدهرُ فيها عن خُدودِ الكَواعبِ

---

(1) الأبيات في: وفـاء الوفـا، 1/ 262، وزاد المعـاد، 3/ 20، وكتـاب شـعر الـدعوة الإسـلامية: بإشراف عبد الرحمن رأفت باشا، 1/ 112، ولم تنسب لأحد غير صبايا المدينة.

(2) البيتان للبحتري في ديوانه، ج3، ص 1846. ورواية عجز الأول: جئت مجيء.

(3) للبحتري من قصيدة في ديوانه، ج1، ص 91، مدح بها محمد بـن علـي القمـي، روايـة صـدر الأول: قدمت فأقدمت الندى يحمل الرضا، ورواية عجز الثاني: يديك بأخلاق.

(126أ) وقال للمتوكل وقد رجع من سفرٍ إلى سُرَّ من رأى[1]:

لعمــري لقــد آبَ الخليفــة جعفــرٌ   وفي كُلّ نفسٍ حاجة من قفولـهِ
دَعاهُ الهوى من سُـرَّ مـن راءَ فـانكفى   إليها انكفاءَ الليثِ تلقـاءَ غِيلـه
علــى أنّهــا قــد كــان بُـدِّل طِيبُهــا   وَرُحِّـل عنهـا أنْـسُها برحيلـهِ
لِـيَهن أبنــةَ خــيرَ البــنينَ محمــداً   قدومُ أبٍ عـالي المَحَـلّ جَليلِـهِ
غَـدا وهــو فَــرْدٌ في الفَـضائلِ كُلّهــا   فَهَلْ مُخبِرٌ عن مِثْلِـهِ أو عَدِيلـهِ

ولمّا دخل عبدالله بن طاهر نيسابور، وافـق دخولـه إياهـا مطـرة جاءت بعد قَحْطَةٍ شديدة، فقام إليه رجلٌ وأنْشَدَهُ:

قــد قَحَــطَ النــاسُ في زمــانهم   حتــى إذا جئــتَ جئــتَ بــالمَطَرِ
غيثــانِ في ســاعةٍ لنــا قَــدِما   فمرحبــاً بــالأميرِ والمَطَــرِ

فاستحسنها عبدالله لموافقة الحال فقال له: أشاعرٌ أنت؟ قـال: لا، قال: أفراوية؟ قال: لا. قال: فماذا أنت؟ قال: بـزّازٌ أصـلح الله الأمـير – قال: فأنّى لك ما أنشدته؟ قال: سمعتُ رجلاً بالرقة ينشده فحفظته، فأمر بأن لا يُشترى له شيءٌ من البزِّ إلاّ منه أو على يديه.

ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي[2]:

---

(1) من قصيدة للبحتري في ديوانه، ص 1633-1635. وهي الأبيـات 19-24، وعجـز البيـت الرابع: عند دخوله

(2) البيتان لابن الرومي من قصيدة في ديوانه، ج2، ص 678.

قَدِمْتَ قُدومَ البدرِ بيتَ سُعودِهِ   وأمْرُكَ عالٍ صاعدٌ كصُعُودِهِ

(26ب)

لبستَ سَناه واعتليتَ اعتلاءَهُ   ونأملُ أن تَحْظى بمثلِ خُلودِهِ

وقد ظرف الحجاجي في قوله لأبي الفتح بن العميد[1]:

يا قادماً قرَّت به عيني   أزْلتَ عنيّ وحشةَ البَيْنِ

وأيضاً له[2]:

أهلاً وسهلاً بمُشْبهِ القمرِ   أهلاً ببدرٍ جلا دُجى بصري

وكان قلبي مسافراً معه   والآن عادا معاً من السَفَرِ

ولا مَزِيدَ على قول الصاحب لابن العميد[3]:

قالوا: ربيعُكَ قد قَدمْ   فَلَكَ البشارَةُ بالنِّعَمْ

---

(1) البيت للحسين بن أحمد الشهير بابن الحجّاج في المختار من شعره صنعة الأسطُر لأبي من مقطعة، ص 4213، وعنوان المختار 'دُرّة التاج من شعر ابن الحجّاج'، بتحقيق علي جواد الطاهر، راجعه وزاد في حواشيه محمد حسين الأعرجي المعلم في معهد اللغة العربية في الجزائر.

(2) لم أظفر بالبيتين في ديوانه: درة التاج، وديوان تلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج.

(3) المقطعة للصاحب بن عباد في ديوانه، ص 277-278، ط2، بيروت، 1974. رواية صدر الثاني: أخو الشتا. ورواية بعجز الثالث: يُغنى المقلّ

قلــت: الربيــع أبــو الــشتا ءِ أم الربيــعُ أخــو الكَــرَمْ؟

قـــالوا: الـــذي بنوالـــهِ يحيـــى المقـــلُّ مـــن العَــدَم

قلــتُ: الــرئيسُ ابــن العميــد إذاً. فقـــالوا لـــي نَعَـــمْ

ومن ذلك قول المتنبي[1]:

مــا مَنْبجٌ مُــذْ غِبْــتَ إلاّ مُقْلَــةٌ سَهَدَتْ ووجهُــكَ نومهُــا والإثمـدُ

فالليلُ منذ طلعتَ فيهـا أبـيضٌ والصُّبْحُ منـذ رَحَلْـتَ عنهـا أسـوَدُ

ما زِلْت تدنو وهـي تَعْلُـو عِـزَّةً حتـى تـوارى في ثرَاهــا الفَرْقَــدُ

---

(1) المقطعة للمتنبي في ديوانه، ص 49، طبعة صادر من قصيدة رواية صدر الثاني: فالليـل حـين قدمت.

[40]

التهاني بالقدوم

قال أبو إسحاق: "أنا أُهنئ نفسي بقدوم سيدي سالماً، وأشكر الله شكراً دائماً، يوجب له فيه دوامَ التمكينِ والتأبيدِ واتصالَ المادةِ والمزيد"[1].

أبو الفرج (127أ) الببغاء:

غيبةُ المكارمِ مقرونـةٌ بغيبتـك، وأوبـةُ الـنِعمَ موصـولةٌ بأوبتـك، فوصَلَ اللهُ قدومَك، من الكرامة، بإضعاف ما قرن به مسيرَك من السلامِ، وهنَّأك إيابكم، مبلّغك مجابك[2].

فصل له[3]:

ما زلتُ أيام غيبتك – لا أوحـش الله منـك – بـذكرك مستأنـساً وللشوق إليك مجالسا، إلى أنْ منَّ الله من أوبتكَ بمـا عظمـت بـه النعمـة، وجلت لـديّ معـه المنحـة، فوصـل الله بالـسلامة نهـضاتك، وبالـسعادة حركاتك، وبالتوفيق آراءك وعزماتك.

---

(1) أبو إسحاق الصابي: إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابئ الحراني: أوحد العـراق في البلاغـة وكان قد أدرك التسعين في خدمة الخلفاء العباسيين وخلافة الـوزراء، تقلـد ديـوان الرسـائل، وحين مات المهلبي اعتُقل في جملة عمّاله عدة سنوات، من مصنفاته كتاب التاجي وقد طُبعت قطعة صغيرة منه في بغداد، وأورد الثعالبي في اليتيمة طائفـة كـبيرة مـن نثره وشـعره، حقـق رسائله ونال بها الدكتوراه، الدكتور سعد الله العبودي، توفي سنة 384هـ. الأعلام: 1/ 73-74.

(2) القطعة مختصرة من نثر ديوانه رقم 18، ص 105-106.

(3) القطعة مختصرة من نثر ديوانه، رقم 19، ص 106.

فصل له[1]:

من كان نهاية أمنيته، وقطب مسرّته قربك، كان من نفسه مستوحشاً مع بُعدك، وما زلتُ بالنية معك مسافراً، وباتصال الذكرِ والفكر لك ملاقيا، إلى أن جمع اللهُ شملَ سروري بأوبتِك، وسكّن نافر قلقي بعودتك. فأسعدك الله بمقدمك سعادةً تكون بها من الزمان محروساً، وللإقبال مقابلاً، وبالأماني ظافراً، ولا أوحش منك أوطان الفضلِ، ورباع المجدد بمنّه ولطفه.

(1) الفصل مختصر من كتاب البيغاء: حياته، شعره، نثره، قصصه، صنعة هلال ناجي، ص 106-107.

[41]

التهنية بالحجّ

لم أسمع في مدح الحاج أحسن من قول أبي تمام في أبي سعيد [محمد بن ويوسف) الثغري:

للهِ وَخْدُ المهَاري أيُّ مَكْرُمَةٍ	هَزَّتْ وأيُّ غَمامٍ قَلْقَلَتْ خَضِلِ[1]
خَيْر الأخلاّءِ خَيْرُ الأرضِ هَمَّتُهُ	وأفْضَلُ الرَّكْبِ ينوي أفضل السُّبُلِ
حُطَّتْ إلى تربة الإسلام مجلسُه	والشمسُ قد نَفَضَتْ وَرْساً على الأصُلِ
مُلَبِّياً طالَ ما لَبَّي مُنادِيَه	إلى الوَغى غيرَ رِعْدِيدٍ ولا وَكِلِ(27ب)
ومُحْرِماً احرمَتْ أرْضُ العراقِ لَهُ	من النَّدى واكتَسَتْ ثوباً مِنَ البخَلِ
ورامياً جمراتِ الحجِّ في سَنَةٍ	رَمَى بها جَمَراتِ اليومِ ذي الشُّعَلِ
وسافِكاً لدماءِ البُدْنِ قد سُفِكَتْ	بهِ دِماءُ ذوي الإلحادِ والنِّحَلِ

فصل للصاحب[2]:

قد خصّتني مواهبُ الله لديك في الحج الذي أدّيت فرضه، وحَرَمِ اللهِ الذي وطئتَ أرضه، والمقامَ الكريم [الذي] قُمْتَه، والحَجَر الأسود [الذي] استلمته، حتى وقفت بالموقف العظيم، وسفرت بين زمزم

---

[1] المقطعة لأبي تمام في ديوانه، ج2، ص 91-92. رواية عجز الثاني: يقرو، رواية صدر الثالث: إلى عمدة الإسلام أرحُلَه.

[2] لم أظفر بهذين النصين للصاحب في التهنئة بالحج في كتابه 'الفصول الأدبية' وفي نثره في 'اليتيمة' فلعلّهما مما انفردت به مخطوطتنا من نثر أو فيما ضاع من آثاره.

والحطيم، وتعلقت بأستار الكعبة، ونظمت الصفا إلى المروة ساعياً، وزرت قبر الرسول ﷺ مشافهاً لمشهده، ومباشراً لمسجده، ومشاهداً لمبدأه ومحضره، وماشياً بين قبره ومنبره، ومصلّياً عليه حيث صلّى، ومتقرّباً إليه بالقربة العظمى، وعدت وثوابك مسطور، وذنبك مغفور، وتجارتك لا تبور رابحة، والبركات إليك غادية ورائحة.

فصل له أيضاً[1]:

أربحت بما يسّره الله لك من الحج إلى البيت العتيق، والفج العميق، فهو موقف الأنبياء الطاهرين ومهبط الملائكة المقربين – صلوات الله عليهم أجمعين – والمنصرف عنه كما أتى به الأثر، ويظاهر عنه الخبر: بريء من الذنوب كيوم ولدته أمُّه، وقد عَظُم أجْرُهُ وغُنْمُه، ووُضِعَ عنه وزرِهُ (28أ) وإثمُهُ، واللهُ يوفقك لشكر ما أولى لكَ، وأجلّ النعمة عليك.

---

(1) لم أظفر بهذين النصين للصاحب في التهنئة بالحج في كتابه الفصول الأدبية وفي نثره في اليتيمة فلعلّهما مما انفردت به مخطوطتنا من نثر أو فيما ضاع من آثاره.

[42]

الآداب في الإياب

كان النبي ﷺ إذا قدم من السفر قال: آيبون إن شاء الله تائبون شاكرون لربنا حامدون[1].

وعنه ﷺ: "إذا طالت غيبة أحدكم عن وطنه، فلا يطرقنّ أهله ليلاً"[2].

ولمّا قدم سلمان الفارسي على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال عمر: امضوا بنا نستقبل سلمان.

ولمّا رجع جعفر الطيار من الطائف ضمّه رسول الله ﷺ إلى صدره، وقبّل بين عينيه، وقال: "ما أدري بأيّهما أسَرّ، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر؟"[3].

والعرب تقول: للقادم أوبة وطوبة، أي أبت إلى اهلك في عيش طيِّب.

وقال مالك بن الريب[4]: أسرُّ الأشياء عندي قفلةُ على غَفْلة.

---

(1) في صحيح مسلم عن انس قال: أقبلنا مع النبي ﷺ حتى إذا كنا بظهر المدينة قال: آيبون تائبون عابدون لربّنا حامدون، فلم يزل يقول ذلك حتى قدمنا المدينة، التخريج: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار للحافظ يحيى بن شرف النووي، ط4، البابي الحلبي، مصر، 1375هـ-1955م.

(2) رواه جابر عن مسلم، وروايته: "إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً"، وفي فتح الباري بشرح صحيح البخاري ورد الحديث في كتاب النكاح باب "لا يطرق اهله ليلاً إذا أطال الغيبة"، مخافة أن يخونهم أو يلتمس عثراتهم.

(3) الحديث النبوي في زاد المعاد، 2/ 139، والمعجم الصغير للطبراني، 1/ 19، والرحيق المختوم، ص 382، ونصه "والله ما ادري بأيهما افرح؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر".

(4) مالك بن الريب: من الشعراء الفتاك، شهد فتح سمرقند وتنسك ثم مرض في مرو ولمّا أحسّ بالموت في الغربة قال رائعته المشهورة: "ألاّ ليت شعري هل أبيتن ليلةً" قال ابو علي القالي: كان من أجمل العرب جمالاً وابينهم بياناً. الأعلام: 1/ 134-135.

[43]

زيارة القادم والتسليم عليه

قال الجاحظ: قدم علينا جعفر بن القاسم الهاشمي البصرة، فقصدتُه من يومه وقلتُ له: لم أحبّ أن يسبقني أحدُ إليك، فقال: لو جِئتني غداً كان أشهى للحديث، لأنّ أوّل يومٍ للقادم لنفسه وأهْلِهِ، والثاني لخاصَّتِه، والثالث للعامة.

ولم أسمع في الاعتذار عن تأخّر زيارة القادم أحسن من قول ابن الرومي[1]:

يا مَنْ أُوَقّلُ دونَ كلٌ كريمِ ... وتحُبُّ نفسي دونَ كل حَميمِ(28ب)

أخّرْتُ تسليمي عليكَ كراهةً ... لزحامِ من يَلقاكَ بالتَسْليمِ

وعرفتُ قِسْمَتَكَ التّحفيٌ بينهم ... عند اللقاءِ كَفِعْلِ كلٌ كريمِ

فَصَبرتُ عنكَ إلى انكسارِ غُمارهم ... والقلبُ حولَكَ دائمُ التحريمِ

صبرَ امرئٍ يُعطي المودَّةَ حقّها ... لا صَبْرَ مذمومِ الحفاظِ لئيمِ

---

[1] الأبيات لابن الرومي في ديوانه، ج6، ص 2242-2243، من مقطعة. رواية عجز الثاني: للتسليم، ورواية صدر الثالث: وذكرت قسمتك.

[44]

إهداء القادم من السَّفر

عروة عن عائشة عن النبي ﷺ[1]: "إذا خرج أحدكم إلى سفر ثُمَّ قدم فليُهْدِ لأهْلِه ولإخوانهِ وليظهر فيهم ولو حجارة".

وكتب العباس بن جرير إلى محمد بن عبدالله بن طاهر[2]:

أنا في الموالاة للأمير كنفسه، وفي الطاعة كَيَدِهِ، وفي الاختصاص به كأحدِ أهْلهِ، وإنّما أُلطفه من فَضْله، وأهْدي إليه ما هو من عنده، وقد بعثتُ بما يخدمه في سفرته.

أبو إسحاق الصابي وقد حمل إلى عبد العزيز بن يوسف[3]:

قد حُمِلَ من أحد مَنْزلَيْ الأستاذ إلى الآخر عُراضة المُلاطِف لا هديَّة المحتفل، والنفسُ له والمال منه.

---

(1) رواه البيهقي في سُننه عن عائشة رضي الله عنها، سنن البيهقي.

(2) محمد بن عبدالله بن طاهر الخزاعي ولاءً (209-253هـ) أمير شجاع من بيت رئاسة، ولي نيابة بغداد أيام المتوكل العباسي، وتوفي بها، كان فاضلاً أديباً شاعراً وكان مالفاً للشعراء وأهل العلم والأدب. الأعلام: 7/ 94.

(3) أبو إسحاق الصابي: مرت ترجمته. أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الشيرازي (ت 388هـ)، وزير من الكتاب الشعراء تقلد ديوان الرسائل لعضد الدولة البويهي طول أيامه وعُدّ من وزرائه وخواص ندمائه، ثم ولي الوزارة دفعات لبعض أولاد عضد الدولة، أورد الثعالبي طائفة حسنة من شعره ونثره في اليتيمة. تنظر يتيمة الدهر: 2/ 86-97، والأعلام: 4/ 155.

وكتب ابن المرزبان[1]:

وقد خَدَمْتُ غلمانَ سيدنا من رسم العراضة بقليل يوفره خلوص الحشايا[2] أو حركة وطية المطايا.

وكتب آخر:

أسأل الله أن يحرسَ مولاي حاضراً وغائباً، ومقيماً وآيباً، وأن يزيح هذه الغمم المطيفة بنواحي سفره، ويرجع ضياء المجد إلى وطنه بل إلى بلده.

وكتب أبو الفرج (129أ) الببغاء:

وفَّق الله عزمَك، وأنجحَ سعيَك، وحفظكَ فيما تحضره، وفيما تغيب عنه.

وكتب غيره:

قَدَّمَ اللهُ لكَ الخيرَ والخِيرة في نهوضِك وقدوِك، وجعلَ عليك واقيةً باقيةً في مَشْهدكَ ومغِيبك.

---

(1) ابن المرزبان: محمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي لم تحدد المصادر تاريخ مولده ولا وفاته، والأغلب أنه توفي في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري صنّف كتاب المنتهى في الكمال وهو يضم اثنى عشر كتاباً ضاع اغلبها، حقق ونشر د. جليل العطية كتابين منهما هما: الشوق والفراق والحنين إلى الأوطان، وصحّح نسبة الأمل والمأمول الذي نسبه رمضان ششن إلى الجاحظ وهو لابن المرزبان غلب عليه الأدب والبلاغة والحكمة، لقب بالباحث عن مُعتاص العلم. تنظر ترجمته في مقدمة محقق كتبه الدكتور جليل العطية.

(2) كذا في الأصل.



[45]

أحاسن الشعراء في الدعاء للمسافر

أول من قال ذلك الأعشى من قصيدة[1]:

تقولُ بِنتي وقد قَرَّبتُ مُرتَحِلاً ... : يا ربِّ جَنِّبْ أبي الأسقامَ والوَجَعَا

عليكِ مثلُ الذي صَلَّيتِ فاغتمضي ... نوماً فإنّ بجنب البرّ مُضطَجَعا

وعلى ذكر شعره فإنَّ الواثق لَمّا أشخص أبا عثمان المازني[2] من البصرة لمسألة في النحو، طاوَلَهُ الحديثَ ثُمَّ سأله عن ولده فقال: يا أمير المؤمنين مالي إلاَّ بُنَيّة، ولا أرى الدنيا إلاَّ بها.

قال: فما قالت المسكينة حين فارقتها؟

قال: يا أمير المؤمنين أنشدتني قول الأعشى وقد خنقتها العبرة[3]:

تقولُ ابنتي حِينَ جدَّ الرحيلُ ... أرانا سواءً ومن قد يَتِمْ

(1) البيتان للأعشى الكبير في ديوانه، ص 101، ورواية عجز الأول: الاوصاب والوجعا، ورواية عجز الثاني: لحنين المرء مضطجعاً.

(2) بكر بن محمد المازني الشيباني الوائلي (ت 246هـ)، من أئمة النحو، بصري ووفاته بها، له تصانيف منها: ما تلحن فيه العامة، والألف واللام، والتحريف، والعروض، والديباج، وكان أبو عثمان مع علمه بالنحو متسعاً في الرواية وواسع العلم بمفردات اللغة وغرائبها، ومن المعروف أن عبد الصمد بن المعذل، هجاه بقصيدة مشهورة فردّ عليه المازني بقوله: لو لزمت مجالسة أهل العلم كان أعود عليك. الأعلام: 2/ 44، السيرافي، ص 57-65. خبر الواثق مع المازني انظره بتفاصيله في كتاب أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص 58، مع اختلاف.

(3) الأبيات في ديوان الأعشى، ص 41، من قصيدة.

أبانـــا فـــلا رِفْـــثَ مِـــنْ عِنْـــدنا		فأنّـــا بَخـــيرٍ إذا لَـــمْ تُـــرِمْ

أرانـــــا إذا أضـــــمرتك الـــــبلا		دُ نُجْفَـى ويُقْطَـعُ منّـا الـرَحِمْ

قال: فما قلت لهذه المسكينة؟

قال: قلت قول جرير:

ثِقــي بــاللهِ لــيسَ لَــهُ شَــريكٌ		وَمِنْ عنـدِ الخليفـةِ بالنَّجـاحِ[1]

فاستحسن محاضرته، وأمرَ له بألف دينـار، وخَلَـعَ عليـه وصـرفه مُكَرَّماً (29ب).

شاعر:

أدْخِـلْ أبـا بـشرٍ بـأيمنِ طـائرٍ		وعلى السلامةِ والسعادةِ فانزلِ

آخر:

ليمضِ بك الصنعُ الجميـلُ مـصاحباً		فإنَّ دخيل الهمِّ منـصرفٌ عنّـي

(1) البيت لجرير في ديوانه، ج1، ص 89.

وقال البحتري للمتوكل عند مسيرة إلى الشام وهو معه[1]:

سَـفرٌ جـدَّدَتْ لنـا الـ ... لهـو أيامُـهُ الجُـدُدْ
عَـزَم اللهُ للخليـ ... فَـةِ فيـه علـى الرَشَـدْ
[مَلِـكٌ تعجـز البريـ ... ـةُ عِـن حـلِّ مـا عَقَـدْ]
يـا إمـام الهـوى الـذي أحـ ... تـاط للـدينِ واجتهـدْ
سِـرْ بـسعد الـسعود في ... صـحبة الواحـد الـصمدْ
وأبْـقَ في العـزّ والعُلـوّ ... لنـا آخِـرَ الأبَـدْ

وقد أحسن ابن الرومي جداً في قوله[2]:

إمّا عَزَمْتَ على الرحيلِ فـلا تَـزَلْ ... للمكرمـاتِ ولِلْعُلـى أحبـالا
جعـل الالـه لـكَ النجـاح مطيَّـةً ... ولما طلبـتَ مـن الأمـور عِقـالا
لا كـان هـذا العهـدُ آخـر عهـدنا ... بكَ، لا ولا كـانَ الزيـالُ زوالا

وأحسن منه قول أبي الطيب المتنبي لسيف الدولة[3]:

سِـرْ حَـلَّ حيـثُ تَحُلُّـه النُـوّارُ ... وأرادَ فيـك مُـرادَكَ المِقْـدارُ

---

(1) المقطعة للبحتري من قصيدة في ديوانه، ج2، ص 708, وقـد استـضفنا البيـت الثالـث مـن ديوانه.

(2) المقطعة أخلّ بها ديوان ابن الرومي.

(3) من قصيدة للمتنبي في ديوانه، ص 277.

وإذا ارتحلت فَشيَّعَتْكَ سَلامةٌ حيثُ اتَّجَهْتَ وَدِيمةٌ مِدْرارُ
وأراك دهُركَ ما تُحاولُ في العدى حتَّى كأنَّ صُرُوفَهُ أنْصارُ (30أ)

وقال السريّ أيضاً: [يمدح ناصر الدولة في وقت مسيره إلى العراق] [1]

سِرْ سَرَّك اللهُ فيما أنْتَ منتظرٌ فقد جرَى بالذي تهوى لَكَ القَدَرُ
وأسعدتك بما أمَّلْتَ أرْبَعَةٌ العزُّ والصنع والإقبال والظَفَرُ

أبو الفرج الببغاء في قصيدة[2]:

بأعزِّ مرتحلٍ وأيمنِ مَقْدَمٍ حَكَمَتْ لِحَظِّكَ طالعاتُ الأنجمِ

---

(1) الأبيات للسريّ الرفّاء في ديوانه، ج1، ص 184. رواية الثاني: واظفرتك النصر والفتح والإقبال والظفر.

(2) البيت أخلَّ به ديوانه.

[46]

وداع السادة والرؤساء

ودّع الحَسَنُ بن سَهْلٍ المأمونَ، فلما أراد أن ينصرف عنه قال له المأمون ألَكَ حاجة يا أبا محمد؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، تحفظ عليّ من قلبك ما لا أستعينُ على حفظهِ إلاَّ بِكَ[1].

ومن أحاسن البحتري في الوداع قوله[2]:

أقولُ لَهُ عند توديعه	وكُلٌّ بعبرته مُبْلسُ
لَئِنْ قَعَدتْ عنكَ أجسامُنا	لقد سافَرَتْ مَعَك الأنفُسُ

وقوله أيضاً[3]:

سأُقيمُ بَعْدَكَ عِنْدَ غيرك عالماً	عِلْمَ الحقيقةِ أنَّني ساضيعُ
وأودّع الإحسانَ بعدكَ واللُّهى	إن كان منك البَيْنُ والتوديعُ

---

(1) الحسن بن سهل (ت 236هـ) وزير المأمون، من كبار القادة والولاء في عصره، كان أديباً فصيحاً كريماً وهو والد بوران زوجة المأمون، وكان مُمَدّحاً توفي في سرخس من بلاد خراسان. الأعلام: 2/ 207.

(2) البيتان للبحتري في ديوانه، ج2، ص 1129، قالهما في وداع سليمان بن وهبة، رواية الأول: عند توديعنا، بحاجته.

(3) الأبيات من قصيدة قالها البحتري في وداع إبراهيم بن الحسن بن سهل بديوانه، ج2، ص 1314-1315، رواية الثاني: سأودع.. إذا حان.

وسأسْتَقلُّ لكَ الـدموع صبابةً ولو أنّ دجلة لي عليـكَ دمـوعُ

ومن مشهور هذا الباب وسائره قول دعبل:

وَداعُـــــكَ مثــــل وَداعِ الربيــــعِ وفَقْـدُكَ مِثْلُ افتقـادِ الـدِّيَمْ[1]
(30ب) عليك السلام فكَمْ منَ وفـاءٍ أفارقــه منـكَ لا مِــنْ كَــرَمْ

وقال مسلم بن الوليد[2]:

وإنّــي وإسماعيـلَ عنـد وداعِـهِ كالغِمْدِ يومَ الروعِ زايلَـهُ النَّـصْلُ
فإنْ أغْشَ قوماً بعدهم أو أزورهم فكالوَحْشِ يُدنيها من الأنس المَحْلُ

وللمتنبي في سيف الدولة[3]:

يــا راحــلاً كُــلُّ مَــنْ يُوَدِّعُــهُ مُــــوَدِّعٌ دِينَـــــهُ وَدُنْيـــــاهُ
كــأنّ فيمــا يــراه مــن كــرم منــــك مَزيـــدٌ فـــزادَكَ اللهُ

---

(1) البيتان لدعبل الخزاعي في ديوانه، ط2، ص 248، بتحقيق عبد الكريم الأشتر، ورواية عجز الثاني: نفارقه، وقد نسبا إلى إسحاق بن إبراهيم في كتاب الحكم والأمثال، ص 179.

(2) البيتان لمسلم بن الوليد في ذيل ديوانه، ص 332-333، من قصيدة رواية الأول: يوم وداعه .. فارقه النصلُ، ورواية عجز الثاني: يستدنيه للقنص بالمحلُ.

(3) البيتان للمتنبي في ديوانه، ص 252، قالهما مودعاً أبا العشائر ورواية صدر الثاني: إن كان فيما نراه من كرمٍ.

وللنامي فيه[1]:

أودّعُ لا أنّـــــي أودِّعُ طائعـــــاً وأعطي بكرهي الدهرَ ما كنتُ مانعـا
رعاكَ الـذي اسـترعى بِـسَيْفِكَ دينَـه ولقّـاك روضَ العـيشِ أخـضرَ يانعـا
وأرجِعُ لا ألقى سوى الوجِد صاحباً لنفـسـيَ إنْ ألفيـتُ بـالنفسِ راجعـا

وللصاحبِ في ابن العميد[2]:

أودّعُ منــكَ أنــواءَ الــسحابِ وعيــشاً بــين أفْنيــةٍ رحــابِ
فأوْصِ الدهر بي خيراً فَحَـسْبي فَقَلْبُ الدهر واشٍ ذو انقـلاب
ولا بك أوصـني بالـدهر خـيراً فقــد غادرتــه يَخْـشى عِقـابي
وَهَـبْ أحداثَــه قــد ســالمتني أليسَ أسيرُ عن هذا الجنـابِ؟!

وأحسن وأظرف قوله أيضاً[3]: (131أ)

أُوَدِّعُ حـــــضرتَكَ العالِيَـــــهْ ونفـــسيَ لا أدمعـــي هامِيـــهْ
ومــن ذا يــودّع هــذا الجنــاب فتنهـــاه مـــن بعـــده العافيـــه

---

(1) المقطعة مّما يُستدرك على ديوان النامي.

(2) المقطعة أخلّ بها ديوان الصاحب بن عباد في طبعته الثانية.

(3) المقطعة للصاحب بن عباد من قصيدة في ديوانه، ص 302-303، والمقطعة له في مخطوطة رَوح الرُوح، الورقة 194. ورواية عجز الثاني: فتهنؤه بعده العافية، ورواية صدر الثالث: جناب رعيت، ورواية الرابع: ولو كنتَ .... إذاً سرت في جملة.

جنــابُ رحيــبُ بــه جنّــةٌ　　قطــوفُ مكارِمهـــا دانِيَــهْ

وإن كنــتَ تــأذنُ لــي في المـسير　　إذاً رحَلَــتْ جملــةُ الحاشــيه

ســبقتُ جــوادَكَ مــدّ الطريــق　　وســرتُ وفي يــديَ الغاشــيه

[47]

وداع الأخوان والأصدقاء

ودّع الحسن البصري صديقاً له وعيناه تفي من الدمع وقال[1]:

وما الـدهرُ والأيـامُ إلاَّ كما ترى   رَزِيَّـة مـالٍ أو وداع حبيـبِ

وودّع أبو العالية سعيد بن وهب ثُمَّ بكى وأنشد:

إنْ نَعِشْ نجتمع وإلا فما الشـ   غَلُ من ماتَ عن جميعِ الأنامِ[2]

وودّع أبو تمّام بعض إخوانه في شهر رمضان[3]:

لأودِّعنَّـكَ ثُـمَّ تـدمعُ مُقْلَـتِي   إنّ الدموعَ هـي الـوداعُ الثـاني

وأصومُ بعدكَ عنْ سِواكَ واغتَدِي   متقلّـداً صَـوْمَيْن في رَمَـضانِ

---

(1) الحسن بن يسار البصري (21-110هـ)، تابعي أمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه، ولد بالمدينة، وشبّ في كنف علي بن أبي طالب ﷺ وسكن البصرة وكانت له هيبة في الناس، صنف عن إحسان كتاباً، قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه كلاماً بكلام الأنبياء وأقربهم هدياً من الصحابة، وكان غاية في الفصاحة، تنصب الحكمة من فيه. الأعلام: 2/ 242.

(2) سعيد بن وهب (ت 208هـ)، شاعر أكثر شعره في الغزل والخمر، ولد ونشأ في البصرة وانتقل إلى بغداد وتقدم عند البرامكة، وتنسك في كبره، مات ببغداد. الأعلام: 3/ 157.

(3) النتفة لأبي تمام في ديوانه، ج3، ص 340.

وممّا يُنسب إلى نفرٍ من الشعراء لحُسْنِهِ وطيبه[1]:

ودّعـــني حيـــث لا تودعـــه ... روحـــي ولكنُّهـــا تـــسيرُ مَعَـهْ
ثُـــمَّ تـــولّى وللفـــؤادِ بـــه ... ضـيقُ مكـانٍ وللـهموم سـعَهْ

فصل لعلي بن القاسم[2]

ألفيتُه في مجلس قلعة، تؤذن للبيت بسرعة (33ب)، حتَّى إذا مدّ يده إلى التوديع ملكتني الحيرة، واستولت عليّ اللكنة، وأسكتتني الغمة، فلم أدر ما أقول غير أني قمتُ من مجلسه، وقد شجيتُ بزفرتي، وخَمَّتْ على قلبي كربتي، وملكتني لفرقته حرقة تتغلغل بين اللهاة والتراقي، وخنقتني لوداعه عبرة تحيّرتْ بين الجفون والمآقي، ثُمَّ شفيتُ غليلي بما استدرَرْتُه من أسراب الدمع المتحيرة، وخَفَّفْتُ عنيّ بعض البرحاء بما امتريتُه من أخلافها المتحدرة.

وسمت أبا بكر الخوارزمي يقول:

أنا لا أودّع الأصدقاء والأحبّة، لأنّ إمامي في ترك الوداع سيدنا البحتري وهو القائل لبعض إخوانه وقد خرج من سُرّمَرّاً ولم يودّعه:

اللهُ جـــارُكَ في انطلاقِـــكْ ... تِلْقــاءَ شــامِكَ أو عِراقِــكْ [3]

---

[1] لم أعرف قائله.

[2] لم اظفر بترجمته.

[3] المقطعة للبحتري في ديوانه، ص 1499-1500، ورواية صدر الرابع: وذكرت ما يجد المودع... ورواية صدر الخامس: بابن بكاءنا..

لا تَعْذُلَنّي في مَسيـ ... ري يوم سِرتَ ولم الاقِكْ
إنّي خَشيتُ مَواقِفاً ... لِلْبَيْنِ تَسفَحُ غَرْبَ ماقِكْ
وعلمتُ ما يلقى المودّ ... عُ عِنْدَ ضَمِّكَ واعتِناقِكْ
وعلمتُ أنّ لقاءنا ... حَسْبَ اشياقي واشتياقكْ
فتركتُ ذاكَ تَغَمُّداً ... وخَرَجْتُ أهربُ مِنْ فِراقِكْ

ومن مُلح هذا الباب قول ابن الناصر[1]:

كأنّ يميني لَمّا أبَتْ ... وداعَ الحبيبِ وقلبي وصَبْ
يمينُ ابن عمران عند العصا ... وقد حُوِّلت حيّةً تضطربُ(132أ)

وقلتُ من قصيدة[2]:

ولمّا وَقَفْنا بين زفرةِ واجدٍ ... وحنّة مُشتاقٍ وأنّة فاقِدِ
حللتُ عقودَ الدمعِ مستروحاً به ... فما فاض لكن غاض فعل معاندِ
وحاولتُ بسطَ الباعِ منّي مودِّعاً ... فما ساعدتني عند ذلك ساعدي

---

(1) ابن الناصر: لم أظفر بترجمته.
(2) الأبيات أخلّ بها ديوان الثعالبي المنشور في المورد.

[48]

ذكر التشييع

شيّعَ حُميدُ الطوسي[1] المأمونَ عند شخوصه إلى سفر، فلمّا بلغ نهاية المشيَّع صَرَفَهُ وتمثّل بقول الشّاعر:

عجباً لقلبِ متيَّمٍ أحبابهُ — ساروا وخُلِّف كيف لا يتقطَّعُ
ارجعْ فَحَسْبُكَ ما تبعتَ ركابَنا — إنّ المشيَّعَ لا محالةَ يَرْجِعُ

وممّا يستطرف لأبي بكر البلدي قوله[2]:

صَدَّني عن حلاوةِ التشييعِ — اجتنابي مرارةَ التوديعِ
لم يقم ذا منه بوحشة هذا — فرأيتُ الصوابَ تركَ الجميعِ

وقلتُ لصديقٍ لي[3]:

لَمّا ترحّل عنّي — شمّامة الأصدقاءِ
شَيَّعْتُه ببكائي — وحرقتي ودعائي

---

(1) حميد الطوسي (ت 210هـ) من كبار قواد المأمون العباسي كان جباراً فيه قوة وبطش وكان المأمون يندبه للمهلب: الأعلام: 2/ 318.

(2) البيتان للخباز البلدي في ديوانه، ص 24. وصدر البيت الثاني: لم يقم أنس ذا بوحشة هذا.

(3) مما يستدرك على مجموع شعر الثعالبي.

[49]

غيبة الرؤساء والأصدقاءِ والأحِبّاءِ

ممّا يستحسن لأشجع السُّلمي قوله في يحيى بن خالد البرمكي[1]:

قد غابَ يحيى فما أرى أحَداً	يأنسُ إلاَّ بذكرهِ الحَسَنِ
لولا رجاءُ الإيابِ لانصدعتْ	قلوبُنا بعدَهُ من الحَزَنِ (32ب)

ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول مالك بن مسمع للأحنف بن قيس[2]: "يا أبا بحْر، والله ما اشتاقُ الغائبَ إذا حضرتَ، ولا انتفع بالحاضر إذا غِبتَ".

وقد أخَذَ الشعراءُ معناه فأكثروا، منهم إبراهيم بن العباس [الصولي] حيث يقول[3]:

وأنتِ هوى النفسِ من بينهم	وأنتِ الحبيبُ وأنتِ المُطاعْ

---

(1) البيتان لأشجع السلمي في ديوانه، ص 267. مالك بن مسمع الربعي (ت 73هـ) سيد ربيعة في زمانه، توفي بالبصرة وخلفه كثير، وكان أعور لإصابته في معركة، وكان يقال ساد مالك بمحبة العشير، له الأعلام: 6/ 146.

(2) الأحنف بن قيس (ت 72هـ) سيد تميم في زمنه، وأحد الدهاه الفاتحين الشجعان شهد فتوح خراسان يضرب به المثل في الحكم، شهد صفّين مع الإمام علي ﷺ له أخبار كثار، وله خُطب لم تجمع. ينظر الأعلام: 1/ 262-263.

(3) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي في الطرائف الأدبية، ص 146، ورواية صدر الثاني: إن بعدوا وحشة.

فمـــا بـــكِ إنْ بَعُـــدوا وحَـــدةٌ ولا مَعَهُـم إنْ بَعُـدْتَ اجتمـاعُ

ومنهم العلوي الحماني يقول[1]:

إذا كنــتَ لم افقــد الغــائبين وإن غِبْتَ كنتُ فريـداً وحيـدا
تَباعَـدُ نَفْـسي إذا مـا بَعُـدْتَ فليـستُ تعـودُ إلى أنْ تعـودا

ومنهم البحتري وناهيك بقوله[2]:

لغبتَ مَغِيبَ البدرِ عنّا ومَـنْ يَبِـتْ بلا قَمَرٍ يَدّمُم سـوادَ الغياهـبِ
رَحَلْتَ فلـم نـأنسْ بمشهدِ شـاهدٍ وأبْتَ فلم نحفـلُ بِغَيْبـة غائـبِ

ولم يُحسن الصنوبري في قوله[3]:

إذا غـــاب مـــن أحْبَبْتَـــه غـــابَ وُدّه ويقـرب منّـي الـودّ وهـو قريـبُ
كـشخصٍ تُريـك الـشمسُ في الأرضِ ظِلّـهُ فإنْ غابَ غاب الظلُّ حين يغيـبُ

---

(1) البيتان للعلوي الحماني في ديوانه، ص 52، من مقطعة ورواية عجز الثاني: فليست تعاود حتى تعودا.

(2) البيتان للبحتري في ديوانه، ج1، ص 91، من قصيدة: رواية عجز الثاني: فَلَمْ احْفل.

(3) البيتان يستدركان على ديوان الصنوبري وذيله وتتمته.

وأحسنَ كشاجم في معناه[1]:

قلـتُ وقـالوا غـابَ أحبابُـه　　واستبدلوا البعدَ مـن القُـرْبِ (133)
واللهِ مـا شـطَّتْ نـوى راحـلٍ　　سـارَ مـن العـينِ إلى القلـبِ

وممّن سلك طريقة الصنوبري في غيبة الودّ مع غيبة الشخص، يزيد بن محمد المهلبي وصيّر البيت الآخر متمثلاً في قوله[2]:

إذا مـا اسـتبدلَ الوامـقُ　　بُعْـدَ الـدارِ بـالقُرْبِ
ولم يبـقَ سـوى التـذكار　　والإخبـارِ بالكُتْـبِ
فقـد رَثَّـتْ قُـوى الوَصْـلِ　　كمـا رثَّـتْ قُـوى الحـبِّ
ومـن غـابَ عـن العـينِ　　فقـد غـابَ عـن القلـبِ

والله أنا استحسن قول ابن طباطبا[3]:

نفسي الفداء لغائب عن ناظري　　ومحلّه في القلب دون حجابه

---

(1) البيتان في ديوان كشاجم، ص 54، ورواية الأول:

قلـت وقـالوا بـانَ إخوتـه　　قـد أبـدلوه البعـد بـالقربِ

ورواية صدر الثاني: نرى صاحب. وفي هامش مخطوطتنا: نرى صاحب.

(2) أبيات يزيد بن محمد المهلبيّ، أخلّ بها مجموع شعره صنفع يونس أحمد السامرائي رحمه الله.

(3) البيتان لابن طباطبا في ديوانه، ص 28 من مقطعة.

لــولا تمتّــع مقلــتي بلقائِــه لوهَبْتُهـــا لِمبَـــشِّري بإيابـــهِ

فأنّ الرقة تقارن البركة وأنشدني أبو بكر الخوارزمي[1]:

غابوا فصار الجسمُ من بعـدهم مــا تعمـل الـشمسُ لـه فيّـا
بـــأيِّ وَجْـــهٍ أتَلَقّـــاهُمُ إذا رأونـــي بعـــدهم حَيّـــا
واخجلـتي مـنهم ومـن قـولهم مــا ضــرّك الفقـدُ لنـا شـيّا

وأنشد ابن حبيب المدكر[2]

اســتودع الله حبيبــاً ظَعَـــنْ ألّف ما بـيني وبـين الحَـزَنْ(33ب)
إنْ غــاب عــن عـينيَ تمثالُــه ذكّرَنيـــهِ كُـــلُّ شـــيءٍ حَـــسَنْ

وأنشدني غيره لبعض الكتّاب:

تَوَحَّـشتِ المدينـةُ حـين غبـتُمْ وقـلّ بهـا الملاطـفُ والـصديقُ
وضاقَ علـيَّ فيهـا كـلُّ رَحْـبٍ وكيــف وقــد نـأيتم لا تـضيقُ

---

(1) مما أنشده الخوارزمي ولم ينسبه إلى نفسه.

(2) حبب المدكر: لم اقف على ترجمته.

وقلت[1]: [الثعالبي]

يـــا غائبـــاً عـــن ســـواد عـــيني حللـتَ مـن مهجـتيَ الـسوادا

مــا غبــتَ عــن نـــاظري ولكـــن غيّبْـتَ عـن نـاظري الرقـادا

---

(1) البيتان أخلّ بهما شعر الثعالبي المنشور في المورد.

[50]

التلاقي بالنفوس مع تباين الجسوم
والتراني بالقلوب دون العيون

فصل لابن العميد:

نحن في الظاهر على افتراق، وفي الباطن على تلاق، ولئن تفارقت الأشباح، لقد تعانقت الأرواح.

الصاحب بن عباد:

نحن على بُعد الديار، وشطّ المزار، نتناجى بالضمائر، ونتخاطب بالسرائر، وإذا حضرت القرب بالإخلاص، لم يضرّ البعدُ بالأشخاص.

وله أيضاً:

قد سارتْ نفسي بمسيرك، فهي نازلة لديك، موقوفةٌ بالإخلاص عليك، وأنا أناجيك بخواطر قلبي، وإن كان قد غُيِّب شخصك عنّي.

البيغاء:

إن تراخى اللقاء فأنّا نتلاقى على البعاد، ويتلاقى نظر العين بنظر الفؤاد. (34أ)

الصابي:

التلاقي بالقلوب غرض الأخوان، كما أنّ التلاقي بالنفوس غرض العُشّاق، والعاشق يقنع بالرؤية مع الإعراض، والصديق يحتمل الفرقة مع الإخلاص.

وفي هذا المعنى يقول منصور الفقيه[1]:

قد قلتُ لمّا أنْ شكَتْ ... تركي زيارتَها خلوبُ

إنّ التباعد لا يضرّ ... إذا تقاربَتِ القلوبُ

وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول أبي عيينه المهلبي[2]:

جِسْمي معي غير أنّ الرُّوحَ عندكُمُ ... فالروحُ في غُربةٍ والجسمُ ف وَطَنِ

فليعجب النَّاس منّي إنّ لي بَدَناً ... لا روحَ فيه، ولي روحٌ بلا بَدَنِ

وقول الثاني وهو العتّابي[3]:

إذا اشحطتني عن أخي غربةُ النّوى ... وزايلَ طرفي طرفه قامَ في وهمي

---

(1) البيتان لمنصور الفقيه في ديوانه، ص 71، صنعة عبد المحسن فراج القحطاني، ط2، 1981.

(2) البيتان لأبي عيينه المهلبي في ديوانه، ص 40 صنعة محمد عامر غديرة، دمشق، 1967، من مقطعة.

(3) البيتان أخلّ بهما ديوان العتابي صنعة ناصر حلاوي رحمه الله، وبعد البيتين شطر لا صلى له بما قبله ولا ما بعده، ونصّه: شكري ويستره وضوح عذري، وربما كان نصاً سقط بعضه.

أصَـوِّره في القلـب حتَّـى كأنّمـا يحيطُ بـه كُـلٌّ أحوالـه علمـي

وكتب أبو الخطاب الصابي[1]:

مع رقعتي هذه قراضـة مـن العُراضـة برسـم التـذكرة، ومـولاي يتقدم إلى الغلمان بتسلّمها منعماً عليَّ، وحاملاً لي على رسـم العبـد مـع مولاه في (34ب) استعمال الاقتصار والاقتصاد دون المكاثرة والاحتـشاد إن شاء الله.

وكتب بعض الظرفاء إلى بعض الظرفاء مع خاتم أهداه له:

عراضــتي خــاتمٌ لـسيّدنا الـــ ـمشكور مــن عبـدهِ وخادمِـهِ

لـــو نقــشتْ مُقْلَــةٌ بناظرهــا لـصيَّر الـنقش[2] فـصَّ خاتمـه

تم الكتاب

---

(1) لعل كنية (أبو الخطّاب) من وهم الناسخ.

(2) في الأصل المخطوط كلمة (فص) تحت كلمة نقيش.



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المصادر والمراجع

أحاسن المحاسن: الثعالبي، رسالة دكتوراه جامعية، تحقيق: د. ياسر أحمد فياض الفهداوي، كلية الآداب بجامعة الأنبار، مطبعة بالرونيو.

أخبار النحويين البصريين، تأليف الحسن بن عبدالله السيرافي، حققها: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، 1955.

الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ تأليف شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي (ت 676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الأعلام: خير الدين الزركلي، 11 جزء، ط2، القاهرة، 1959.

الأمثال: أبو بكر الخوازمي، الجزائر، 1994، حققه محمد حسين الأعرجي.

آل وهب من الأسر الأدبية في العصر العباسي، تأليف وتحقيق يونس أحمد السامرائي، بغداد، 1979.

الببغاء: حياته، ديوانه، رسائله، قصصه، تحقيق هلال ناجي، بيروت، دار عالم الكتب، بيروت، 1418هـ-1998م.

البيان والتبيين: الجاحظ، ج1، ص 208، حققه العلامة عبد السلام محمد هارون، القاهرة.

تاريخ حكماء الإسلام: خير الدين البيهقي، تحقيق محمد كرد علي، ط21، دمشق، 1979.

التبيان في علم المعاني والبديع والبيان: تأليف الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي (ت 743هـ)، حققه: د. هادي عطية مطر الهلالي، بيروت، 1987.

تحسين القبيح وتقبيح الحسن: الثعالبي: حققه شاكر العاشور، ط3، 2008، دمشق، دار الينابيع.

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباكفوري، صححه عبد الوهاب عبد اللطيف، عشرة أجزاء، القاهرة.

التشبيهات: ابن أبي عون، حققه أحمد خان، كمبردج، المملكة المتحدة.

تلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج: حققه نجم عبد الله مصطفى، تونس، سوسة، دار المعارف، والديوان من اختيار جمال الدين محمد بن نباته، 2001.

التمثيل والمحاضرة: الثعالبي، حققه عبد الفتاح الحلو، القاهرة، 13841هـ-1961م.

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: الثعالبي، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، 1384هـ-1965م.

الحكم والأمثال: أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري، حققه محمد دبوسة ومحمد مهدلي وعفاف عمران، القاهرة، 2006.

حماسة ابن الشجري: حققها الملوحي وأسامة الحمصي، ق2، ص 799، دمشق، 1970.

الحنين إلى الأوطان: ابن المرزبان، حققه جليل العطية.

درة التاج من شعر ابن الحجّاج: الحسين بن أحمد الشهير بابن الحجاج، حققه علي جواد الطاهر، كولونيا، ألمانيا، منشورات الجمل، 2009.

ديوان ابن الرومي: ستة أجزاء، تحقيق: العلامة حسين نصار، القاهرة.

ديوان إسحاق الموصلي، ماجد العربي، بغداد، 1970.

ديوان أبي تمام: أربعة أجزاء، تحقيق محمد عبده عزام، القاهرة.

ديوان أبي الفتح البستي، الكامل، تحقيق شاكر العاشور، دمشق.

ديوان أبي فراس الحمداني، طبعة مؤسسة البابطين حسب المخطوطة التونسية بإشراف: د. محمد بن شريفة.

ديوان أبي نؤاس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، بيروت.

ديوان أبي نواس برواية الصولي، تحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي، بغداد، 1980.

ديوان أبي نؤاس الحسن بن هاني الحكمي، تحقيق ايفالد فغنر، الجزآن الأول القاهرة، 1958، الجزء الثاني: فيسبادن، 19872.

ديوان أشجع السلمي حياته وشعره: حققه خليل بنيان الحسون، بيروت، 1981.

ديوان الأعشى الكبير: تحقيق محمد محمد حسين، ط1، القاهرة، 1950.

ديوان أبي عيينه المهلبي، صنعة محمد عامر غديرة، دمشق، 1967.

ديوان البحتري: أربعة أجزاء، تحقيق حسن كامل الصيرفي رحمه الله.

ديوان بشار بن برد، أربعة أجزاء، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله، القاهرة، 1950--1966 مطبعة لجنة التأليف والترجمة النشر.

ديوان الثعالبي: صنعة د. محمود عبد الله الجادر رحمه الله، بغداد، 1990.
ديوان جرير بن عطية الخطفي، جزآن، تحقيق نعمان محمد أمين طه، وشرح محمد بن حبيب، القاهرة، 1969.
ديوان حاتم الطائي، دار صادر.
ديوان دعبل بن علي الخزاعي، حققه د. عبد الكريم الأشتر، ط2، دمشق، 1403هـ-1983م، مطبوعات مجمع دمشق.
ديوان السري الرفاء الموصلي، جزآن، تحقيق د. حبيب الحسني رحمه الله، بغداد، 1981.
ديوان الصاحب بن عباد، جمعه وحققه الشيخ محمد حسن آل ياسين رحمه الله.
ديوان الصنوبري، تحقيق إحسان عباس رحمه الله، بيروت، وصنع له ذيلاً.
ديوان ابن طباطبا، جمعه وحققه جابر عبد الحميد الخاقاني رحمه الله، بغداد، مطبوعات اتحاد المؤلفين والكتّاب العراقيين، 1975.
ديوان العتابي: كلثوم بن عمرو العتابي، صنعة د. ناصر حلاوة رحمه الله، نشر في حولية آداب جامعة البصرة، السنة الثانية، ع2، 3 عام، 1969.
ديوان علي بن الجهم: ديوان القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني حققه وذيلٌ عليه خليل مردم بك، ط 2، 2003.
ديوان علي بن محمد العلوي الحماني، صنعة محمد حسين الأعرجي، دار صادر، ط2، بيروت، 1998.
ديوان عمر بن أبي ربيعة، طبعة صادر.
ديوان كشاجم، حققه خيرية محفوظ، بغداد.

ديوان المتنبي: دار صادر، 1958.

ديوان مسلم بن الوليد: شرح ديوان صريح الغواني حققه د. سامي الدهان، مصر، ط2، 1970.

ديوان المعاني: العسكري أبو هلال، بتصحيح كرنكو، مكتبة القدسي بالقاهرة، 1325هـ.

ديوان منصور الفقيه، صنعة عبد المحسن فراج القحطاني، ط2، 1982.

ديوان النامي: أحمد بن محمد النامي المصيصي، حققه صبيح رديف، بغداد، 1970.

ديوان يزيد بن محمد المهلبي: صنعة يونس أحمد السامرائي ضمن كتاب شعراء عباسيون.

ديوان اليزيديين: حققه د. محسن غياض.

ديوان يزيد بن معاوية، حققه واضح الصمد، دار صادر، بيروت، 1998.

الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، دار الوفاء، مصر.

رَوح الرُوح: مخطوطة مختارات شعرية أصلها في المكتبة الوطنية بباريس وصورتها لدى الباحث.

ريحانة الألباء: أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، مصر، عيسى البابي الحلبي، 1967.

زاد المعاد في هدى خير العباد: ابن القيم الجوزية، راجعه طه عبد الرؤوف طه، البابي الحلبي، مصر، أربعة أجزاء، 1390هـ-1970م.

سنن الترمذي (الجامع الصحيح): لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (209-297هـ)، خمسة أجزاء، القاهرة، حققه أحمد محمد شاكر، 1356هـ-1937م.
سُنن الحافظ محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (207-275هـ)، حققها محمد فؤاد عبد الباقي، مجلدان، دار إحياء التراث العرابي.
سُنن النسائي: أحمد بن شعيب بن علي النسائي.
شرح القصائد التسع المشهورات: النحّاس، حققه د. محمد خطاب العمر، بغداد، مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام.
شرح المختار من شعر بشار: الخالديان، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، شرحه النجيبي البرقي وحققه محمد بدر الدين العلوي، القاهرة، قدم له الميمني، سنة 1934.
شعر ابن المعتز: ثلاثة أجزاء، حققها يونس أحمد السامرائي رحمه الله.
شعر صاحب الزنج: حققه أحمد جاسم النجدي، مجلة المورد، المجلد الثالث، العدد الثالث، 1974م، بغداد.
شعر عبيد الله بن عبدالله بن طاهر، المنشور في مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، صنعة قحطان عبد الستار الحديثي.
شعر الدعوة الإسلامية، بإشراف عبد الرحمن رأفت باشا، حققه عبدالله ابن حامد الحامد، الرياض، 1391هـ-1971م.
شعر العطوي، صنعة مجد جبار المعيبد، مجلة المورد، العددان (1-2) المجلد الأول، 1971، بغداد.
الشوق والفراق: محمد بن سهيل بن المرزبان، حققه جليل العطية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ-1988م.

صحيح الجامع (الجامع الصحيح)، صحيح مسلم بن الحجاج القشيري (ت 261هـ) بتصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، 1955-1956.

الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، دمشق، 1981، ستة أجزاء.

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، شرح نزار رضا، بيروت، 1965.

طبقات فحول الشعراء: الجمحي، جزآن، حققها العلامة الشيخ محمود شاكر، القاهرة.

الطرائف الأدبية، عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، والمقدمة حررها أحمد أمين سنة 1937.

الفصول الأدبية: الصاحب بن عباد، حققها الشيخ محمد حسن آل ياسين رحمه الله،

الفصول القصار: عبد الله بن المعتز، جمع وتحقيق يونس أحمد السامرائي رحمه الله، بغداد، 2002.

كنز العُمال في سنن الأقوال والأفعال: 16 جزءـ للعلامة علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي البرهان فوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1399هـ1979.

اللطائف والظرائف: الثعالبي، مصر، المطبعة الوهبية، 1296هـ، صنعة أبي نصر المقدسي وجمع فيه كتابين للثعالبي.

المبهج: الثعالبي: حققه الأستاذ إبراهيم صالح، دمشق، دار البشائر.

مجمع الأمثال، جزآن، الميداني أحمد بن محمد النيسابوري، القاهرة، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، 1959.

المستقصى، جزآن، الزمخشري، حيدر آباد الدكن، 1381هـ-1962م.
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، صنعة محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، 1364هـ.
المنجد: الأب لويس شيخو اليسوعي، بيروت.
نكت الهميان في نكت العميان: الصفدي، باعتناء أحمد زكي باشا، مصر، 1910.
يتيمة الدهر: الثعالبي، أربعة أجزاء، حققها محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مصر، 1377هـ.
اليواقيت في بعض المواقيت في مدح الشيخ وذمه، الثعالبي، حققه محمد جاسم الحديثي، بغداد، 1990.



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

Zade Safare AL-Mulok

زادِ سَفَرِ الملوك

تأليف الأستاذ

أبي منصور عبد الملك ابن محمد ابن إسماعيل الثعالبي النيسابوري رحمة الله عليه

في السفر ومدحه وصفته ومحاسن الأخلاق فيه

تحقيق

هلال علي بن ناجي

رئيس اتحاد المؤلفين والكُتّاب العراقيين (سابقاً)

عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق

الحائز على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تحقيق المعجمات

دارت حياة أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي بين مدن سبع لم يعدها إلى سواها، في الأعم الأرجح.

أولاها: نيسابور وبها ولد سنة (350هـ) لأب كان يحترف تجارة جلود الثعالب فنُسب إليها. وهي مهنة مرموقة في المناطق الباردة، مثل نيسابور وما صاقبها.

وقد وهم من ظنّ أن الثعالبي كان يحترف هذه المهنة، والصواب أنها مهنة أبيه.

كما وهم من ذهب إلى أنه ولد في أسرة ضعيفة الحال رقيقة، فبين يدينا نص من شعره يؤكد أنه ورث عن أبيه وأمه ضياعاً عديدة لكنه أتلفها في الحَوادث، وفي طلب العلم والأدب.

الثعالبي إذن ولد في أسرة موسرة، وورث عنها المال والضياع العامرة، لكنه أضاع كثيراً مما يملك في مطالب الحياة التي ذكرها ونوبها، ومركز أسرته الرفيع هذا يسَّر له الولوج في مجتمع السراة والحاكمين فيما بعد.

ولقد حرص أبوه على تأديبه منذ الصغر في كتاتيب نيسابور، فكان من بين مؤدبيه في أيام صباه، رجل أديب حبّبَ إليه الأدب والشعر، فممّا انشده هذا المؤدب لتلميذه في ذم الكتب والدفاتر وامتداح الحفظ، والحضّ على استيعاب العلم في الصدور.





عالم الكتب الحديث
Modern Book World
للنشر والتوزيع

إربد - شارع الجامعة - بجانب البنك الإسلامي
تلفون: ٠٠٩٦٢ ٢٧٢٧٢٢٧٢ - خلوي: ٠٧٩/٥٥٦٤٣٦٢
فاكس: ٠٠٩٦٢ ٢٧٢٦٩٩٠٩ - صندوق البريد: (٣٤٦٩)
الرمزي البريدي: (٢١١١٠)
البريد الإلكتروني: almalktob@yahoo.com
almalktob@hotmail.com
almalktob@gmail.com
www.almalkotob.com



جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع
الأردن - العبدلي مقابل عمارة جوهرة القدس



9789957702991

